يا عمال العالم اتحدوا!

الاتحاد

الخميس ٤ تموز ١٩٩٦ صفحة ١٦

ليفي يفجر ازمة جديدة في حكومة نتنياهو

«اذا لم تحل اشكالية شارون حتى الاثنين القادم سأستقيل»

*** نتنياهو ينزف بليفي – حل الاشكاليات الحساسة لا يتم امام الصحافة * ازمة وزارة الاديان ما زالت على حالها * حركة الكيبوتس الموحد تطالب بضم شارون للحكومة وحجاي ميروم ينتقد ***

* حيفا – مكتب «الاتحاد» – فجر وزير الخارجية، دافيد ليفي، امس الاربعاء، وفي اثناء اجتماع لكتل الائتلاف الحكومية، ازمة جديدة في حكومة بنيامين نتنياهو، وذلك حين هدد بالاستقالة اذا لم يتم حل اشكالية ضم اريئيل شارون الى الحكومة حتى يوم الاثنين القادم، موعد توجه نتنياهو الى الولايات المتحدة.

وقال ليفي موجها حديثه لنتنياهو: «اذا لم يتم حتى سفرك حل هذه الاشكالية، فانني سأخفف عن اولئك الزملاء، من خلال اخلائي لمكاني وللوزارة. فلعل ذلك يساعدهم على حل قضاياهم الشخصية».

ورد نتنياهو على ليفي بقوله من المهم انضمام شارون وزيرا هاما في الحكومة، فالامر هذا يهم الحكومة، ايضا. وحين اسمع ان الزملاء يرغبون في التعاون اقول اذن تعاونوا. وهذا ما يجب فعله، واضاف نازفا بليفي اني لا ادير مثل هذه المفاوضات الحساسة امام التلفزيون.

وكان ليفي ونتنياهو قد التقيا على انفراد صباح امس الاربعاء، للبحث في العديد من القضايا السياسية قبيل سفر نتنياهو لواشنطن. الا ان اللقاء انشغل باشكالية ضم شارون الى الحكومة.

من ناحيته، اعلن وزير المعارف زبولون هامر، ان «المفدال» يرغب جدا في ضم شارون الى الحكومة وسيسهم في قسطه بذلك. وهناك مجموعة بمساعدة ليفي تعمل على وضع خطة مبلورة لتشكيل وزارة «البنى التحتية الوطنية» الا ان على الشركاء الآخرين، ايضا، المساهمة بقسطهم ملمحا الى «شاس» و«اغودات يسرائيل». وهذا الحزب الاخير نفى ان يكون تسلم طلبا بتقليص مهام وزارته، اضافة الى انه يرفض ذلك.

وفي وقت لاحق اعلن مقربو ليفي انه واثق من حل هذه الاشكالية قريبا جدا.



* ليفي ونتنياهو. «ليس امام التلفزيون» – نزف نتنياهو *

وافادت الانباء، ان حزبي «شاس» و«اغودات يسرائيل» وحتى وزير «الامن»، يتسحاق مردخاي، يرفضون التنازل عن بعض صلاحيات وزاراتهم من اجل تشكيل مثل هذه الوزارة الجديدة، التي ستتيح انضمام شارون الى الحكومة.

كذلك فان حكومة نتنياهو لم تتمكن من حل اشكالية وزارة الاديان القائمة بين حزبي «شاس» و«المفدال».

على صعيد آخر، وجهت سكرتارية «حركة الكيبوتس الموحد» (تيكم) رسالة الى نتنياهو ودعته فيها الى ضم شارون لحكومته، الامر الذي يحوي خدمة لاسرائيل. وقد انتقد النائب حجاي ميروم هذه الرسالة قائلا: منذ متى نتدخل في قضية تركيب حكومة تعارض سياستها!

الكنيست تبحث في ماضي نتنياهو

* القدس – لمراسلنا البرلماني – تراجع رئيس الكنيست، دان تيخون، امس الاربعاء، عن قراره، الذي اتخذه يوم الثلاثاء، بمنع طرح قضية ماضي رئيس الحكومة، بنيامين نتنياهو في الولايات المتحدة، والاسماء المتعددة التي كانت له هناك، ووجدت في ملفات التأمين الوطني الامريكي، على جدول اعمال الكنيست.

وكانت النائبة الجبهوية تمار غوجانسكي والنائب اوفير بينيس (العمل) قد تقدما باستجوابين حول الموضوع، وطالبت النائبة داليا ايتسيك (العمل) بطرح الموضوع على جدول اعمال الكنيست.

وتساءلت غوجانسكي في استجوابها عن السبب الكامن وراء استعمال نتنياهو لاسمي جون جي سليفان وجون جي سلفان جونيور.

كذلك تساءلت غوجانسكي حول قيام السلطات الامريكية باخفاء هذه التفاصيل، وحول رد نتنياهو على الشبهة بانه خدم ذات مرة اجهزة المخابرات الامريكية ضمن احد الوفود.

وسأل النائب بينيس في استجوابه عن معنى اسماء نتنياهو التي كشف عنها مؤخرا.

وعلى ضوء، تراجع تيخون بحثت الكنيست امس الموضوع، ورفض مكتب رئيس الحكومة الاجابة على الاستجوابين.

المحكمة العليا ترفض التماس محامي درعي

* حيفا – مكتب «الاتحاد» – رفض قاضي المحكمة العليا، اهرون براك، امس الاربعاء، التماسا قدمه محامو عضو الكنيست اريه درعي (شاس). وطالب المحامون في التماسهم باقالة الهيئة القضائية، التي تنظر في قضية درعي، بدعوى ان اعضاء هذه الهيئة بلوروا موقفا مسبقا من المشتبه به.

واعلن القاضي براك انه لم يجد اي رأي مسبق لدى هؤلاء القضاة وعليه رفض الالتماس.

اليوم، تدشين خط باص حيفا - الناصرة - عمان

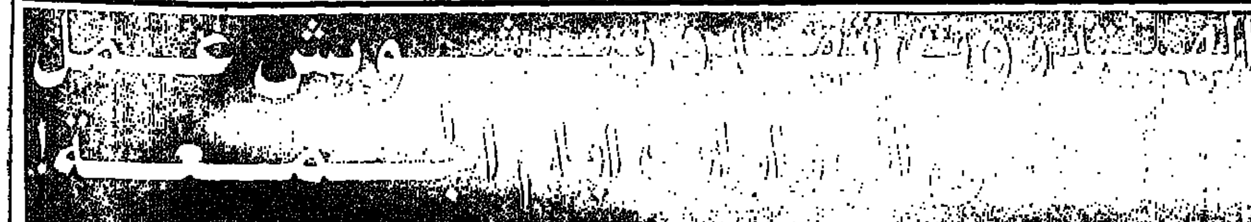
* حيفا – مكتب «الاتحاد» – يتم، اليوم الخميس، التدشين الرسمي لخط باص حيفا – الناصرة – عمان والذي فازت به شركة باصات الناصرة (العفيفي).

وبهذه المناسبة سينطلق باصان من الناصرة وحيفا ينقلان وفدين كبيرين يضمان رئيس بلدية الناصرة رامز جرايسي، ووفدا عن بلدية الناصرة ورئيس بلدية حيفا، عمرام متسناع، ووفدا عن البلدية، ووفدا آخر من بلدية العفولة، وممثلي وزارتي المواصلات والسياحة بالاضافة الى عدد كبير من ممثلي مكاتب السياحة ورجال الاعمال وعشرات الصحفيين.

وسيتم مساء اليوم في العاصمة الاردنية توقيع الاتفاقية بين شركة باصات الناصرة وشركة الثقة للنقل الدولي الاردنية، وسيمثل الشركة النصراوية السيد احمد العفيفي ابو توفيق.

وفي تصريح لـ«الاتحاد» قال السيد احمد العفيفي ان الشركة تعود لقيادة هذا الخط بعد ٤٩ عاما، فحتى العام ١٩٤٧ كانت الشركة تنقل الركاب من مناطق الشمال الى طبريا، ومن ثم تنقل الركاب من طبريا الى مدينة اربد الاردنية.

وعبر العفيفي عن سروره لعودة الخط الى الشركة بعد هذه الفترة وما تخللتها من احداث.



*** رئيس سلطة مستخدمي الدولة يبقى في منصبه.. ويعلن انه سينهي عمله في مطلع العام القادم ***

* حيفا – مكتب «الاتحاد» – طالب رئيس الهستدروت عمير بيرتس، الحكومة امس الاربعاء، بتعويض مستخدمي المكاتب الوزارية لانهم يضطرون للعمل ايام الجمعة، (هو يوم عطلة اسبوعية لهم) بعد قرار رئيس الحكومة بنيامين نتنياهو عقد جلسات الحكومة الاسبوعية ايام الجمعة.

واعلم بيرتس رئيس سلطة مستخدمي الدولة، يتسحاق غال-نور، انه في حال عقد اجراء مفاوضات مع المستخدمين للتعويضات، فان المستخدمين سينفذون تشويشات في العمل ايام الجمعة.

من جهة اخرى، اعلنت الهستدروت انها تساند نضال مستخدمي وزارة الزراعة في نزاعهم ضد مدير عام الوزارة الجديد، داني كريتشمان، الذي ابلغهم من خلال رسالة انه لا يعترف بحق لجنة المستخدمين في المشاركة في قرارات تعيين المستخدمين.

ووصفت الهستدروت رسالة كريتشمان بالوقاحة لانها تمس بمكانة رئيس لجنة المستخدمين.

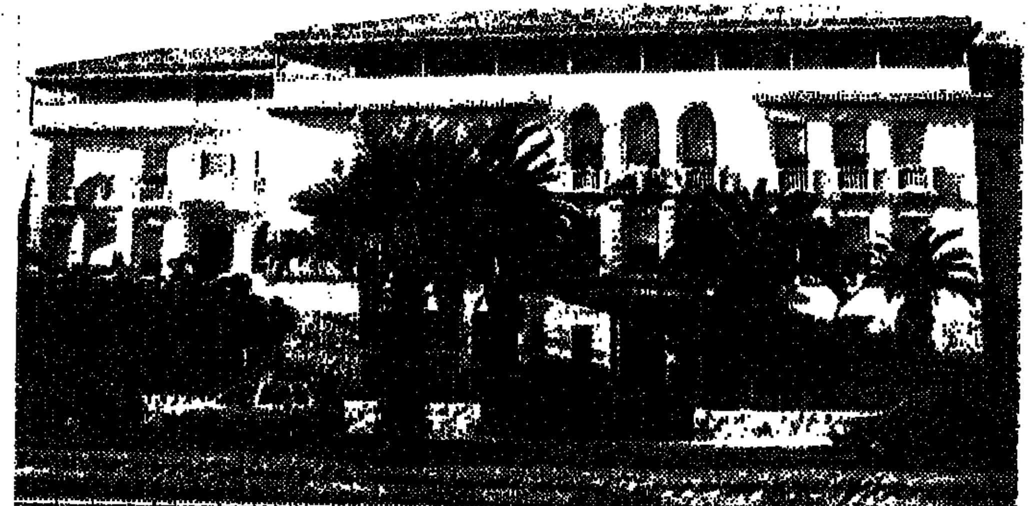
من جهة اخرى ابلغ رئيس الحكومة، نتنياهو، رئيس سلطة مستخدمي الدولة يتسحاق غال- نور ان الحكومة لن تفصله من العمل، وفي المقابل اعلن غال-نور انه سينهي عمله في مطلع العام القادم بحسب اتفاقية العمل المبرمة معه.

ويذكر ان الحكومة اقالت غال-نور فور توليها السلطة، الا ان المحكمة العليا انتقدت هذا الاجراء ورفضته مما حدا بالحكومة ورئيسها للتراجع.

ملحق الاتحاد

الجمعة ٥ تموز ١٩٩٦

المستشفى الطلياني في حيفا المحطة الاخيرة لمرضى السرطان!



اكثر من (٤٠٠) اكاديمي عربي من حملة الدكتوراة لا يجدون اماكن عمل!



تقرير «اليونيسيف»:

(٦٠٠) الف امرأة تموت سنويا بسبب مضاعفات الحمل والولادة



الاضراب الانذاري كان ناجحاً لكنه بداية الطريق!



جمعة ويوم

● سئل وزير الخارجية الامريكي، وارن كريستوفر، قبل ثلاثة أشهر عن رأيه الصريح في الرئيس السوري حافظ الأسد. فقال: «رجل ذكي. حكيم. لكنه ما زال يعيش في عقلية العقد التاسع».

كانت تلك جلسة ضيقة. والتصريح اللا - دبلوماسي الذي أطلقه، لم يوجه لوسائل الاعلام. لكنه وصل اليها ونشرته. وكريستوفر لم يندم على قوله ولم يقم بنفيه، مما يوحي بأنه كان معنيا بتسريبه، حتى يخترق اذني الرئيس السوري.

وفي حينه كان كريستوفر غاضبا من الموقف السوري تجاه عملية السلام. فالادارة الامريكية ارادت منه التجاوب مع شمعون بيرس ودفع عملية السلام الى الأمام بخطوة كبيرة، مثل: الموافقة على لقاء رسمي وعلني مع بيرس، او لقاء سري بشرط ان يعقبه لقاء علني بين مسؤولين كبيرين مثل وزيري الخارجية، اهود براك وفاروق الشرع.

والسيناريو الامريكي بني آنذاك على النحو التالي:

اسرائيل وسورية تنتقلان الى مرحلة اعلى، متقدمة جدا من المفاوضات. لقاء ثلاثي في حديقة البيت الأبيض، كلينتون - الاسد - بيرس او خماسي او سداسي او سباعي باشتراك زعماء آخرين من العالم العربي او الغربي..

وفي هذه الحالة، كان من المفروض ان تجري الانتخابات الاسرائيلية في موعدها (٣٠ تشرين الأول)، فيفوز بيرس ويخرج بالدعاية الانتخابية لصالح كلينتون (تشرين الثاني). وتنجح العملية السلمية في كل المسارات، تحت الاشراف الامريكي.

لكن الرئيس السوري «لخبط» هذا السيناريو. وبنى لنفسه سيناريو آخر، يستند الى:

الاتفاق اولا على ان يتم الانسحاب الكامل من الجولان، ثم يجري بعدها التفاوض الجدي ثم يكون اللقاء في المرحلة الأخيرة.

□□□□

قد يكون الرئيس السوري مخطئا او غير واقعي في هذا التوجه. فهو لم يرد ان يأخذ بالاعتبار الحسابات الانتخابية الامريكية او الاسرائيلية. وهذا لا يفيده دبلوماسيا.

الا ان من حق سورية ان تختار النهج الذي تريد، خصوصا وانها كانت موعودة بالدعم الامريكي الكامل للانسحاب الاسرائيلي من الجولان. ففي حرب الخليج، دخلت سورية في التحالف الغربي - العربي ضد العراق، مقابل هذا الوعد ووعود أخرى تمثلت في الدعم السياسي (بانزال اسمها من اللائحة الامريكية الخطيرة للدول التي تساند الارهاب) والمالي (مساعدات اقتصادية وتكنولوجية وتجارية) وفي اعطائها المكانة المميزة في لبنان.

الادارة الامريكية لم تف بالوعود بالكامل. وحتى المسؤولية في لبنان، باتت تشكك فيها. بينما الأسد ظل مصمما على تطبيق كل الوعود. وفي كل لقاء له مع المسؤولين الامريكيين، يذكر بها.

وعندما قال كريستوفر ان الأسد يعيش عقلية العقد التاسع (الثمانينات)، قصد انه - اي الرئيس السوري - يحسب ان الاتحاد السوفييتي ما زال موجودا وانه يستطيع مواجهة الادارة الامريكية بموقف استقلالي حر. بكلمات اخرى: الاسد لم ينخرط بعد في سياسة النظام العالمي الجديد، الذي تعتبر الولايات المتحدة قائدة له وصاحبة القول والفصل فيه.

وظل كلينتون وكريستوفر يعملان على افهام الاسد بمدى خطورة «عدم تفهمه» للدور الأمريكي الجديد في العالم.. الى ان عقد «المؤتمر العالمي ضد الارهاب» في شرم الشيخ. فعندما تغيبت سورية ولبنان عن المؤتمر بدأت واشنطن تغيير اتجاهها. فأعطت الضوء الأخضر لحرب «عناقيد الغضب» على لبنان، وهي رسالة انذار موجهة لسورية اولا. واعلنت انها لن تسقط اسم سورية من لائحة الدول الداعمة للارهاب، هذه السنة ايضا، رغم وعودها في هذا الشأن.

وعندما سقط بيرس، وجهت واشنطن اصبع الاتهام لسورية. وقالت لها ما معناه: «الآن، تدبروا اموركم مع نتنياهو»..

□□□□

ونتنياهو، كما هو معروف، يعتبر سورية دولة ارهاب. ويرفض اسلوب شمعون بيرس القائل: «معركتنا الاساس اليوم هي مع الارهاب الاصولي. وسورية على علاقة جيدة مع ايران، مصدر الدعم الأول للإرهاب، ومع السودان، الملجأ الاساس لمنظمات الارهاب. ومصلحة مكافحة الارهاب تقتضي محاولة ابعاد سورية عنهما، خصوصا وانها دولة مواجهة مع اسرائيل. فاذا لم ننجح في هذا، ستتسع حلقة الارهاب اكثر لتصل الى حدودنا عن طريق لبنان او حتى عن طريق الاردن والجولان».

بل ان نتنياهو يعتقد ان الرئيس السوري قائد برغماتي مثله، اذا ووجه بموقف حازم في واشنطن يتراجع. وعندها يسهل التعامل معه اكثر.

لذلك نراه، نتنياهو، يوجه سهام التحريض على سورية في كل مناسبة. ويقول انها دولة ارهاب مثل ايران تماما. ويحملها المسؤولية الكاملة على نشاط «حزب الله» في لبنان وعلى العمليات العسكرية على الحدود الاردنية.

ومع ان زيارة كريستوفر الأولى لاسرائيل، بعد الانتخابات، ظهرت وكأنها مخصصة لاقناع نتنياهو بمواصلة المسيرة السلمية والانسحاب من الخليل، فان الموضوع السوري احتل حيزا لا يقل كبرا عن الموضوع الفلسطيني. وقد بادر نتنياهو الى طرح الموضوع وتقديم لائحة اتهام طويلة وخطيرة الى سورية مطالبا بتغيير التعامل الامريكي معها، وهز الرسن امامها حتى تتراجع.

هذا النهج معروف عن الليكود قبل الانتخابات ايضا. فنتنياهو بنفسه وكذلك عدد من مساعديه نشطوا في الكونغرس الامريكي، منذ عدة أشهر، لاقناع الاعضاء بضرورة اتخاذ مواقف حازمة ضد سورية. واليوم، عندما اصبح في الحكم، يصعّد هذا النهج اكثر.

ولم يكن صدفة ان نتنياهو اتهم سورية بالمسؤولية عن قيام عناصر «فتح» (ابو موسى) بعملية قتل ٣ جنود اسرائيليين في الاسبوع الماضي، حتى قبل ان يعرف مصدر هذه العملية.

الجديد في الأمر، ان الادارة الامريكية، اصبحت تعطي اشارات الموافقة على نهج الليكود في هذا المجال. وفي هذا خطورة بالغة.

آخر اشارة على ذلك جاءت، امس الأول الاربعاء، حين نشرت معلومات في القدس وواشنطن والرياض عن ان المجموعة التي نفذت العملية في معسكر الجيش في الظهران السعودية، لها علاقة مع سورية. وفي الوقت نفسه نشرت انباء مصدرها في عمان، تقول ان السلطات الاردنية ضبطت قبل عدة أشهر شاحنة محملة بالمواد البلاستيكية المتفجرة، قادمة من البقاع اللبناني عبر الأراضي السورية ومتوجهة الى السعودية عن طريق الاردن.

وكانت مصادر مقربة من نتنياهو اعلنت قبل اسبوعين ان الملك حسين قال في محادثة مع رئيس الحكومة الاسرائيلي ان سورية تلعب دورا مزدوجا في المنطقة: من جهة تظهر حليفة للقوى الساعية الى السلام ومن جهة اخرى تشجع وتدعم قوى الارهاب التي تهدد عملية السلام.

ومما لا شك فيه ان الموضوع السوري سيحتل حيزا كبيرا ايضا في زيارة نتنياهو، الثلاثاء القادمة، الى واشنطن. وان هناك مكانا لقلق القيادة السورية.

□□□□

ونعود الى البداية، الى حق سورية في الرأي المستقل.

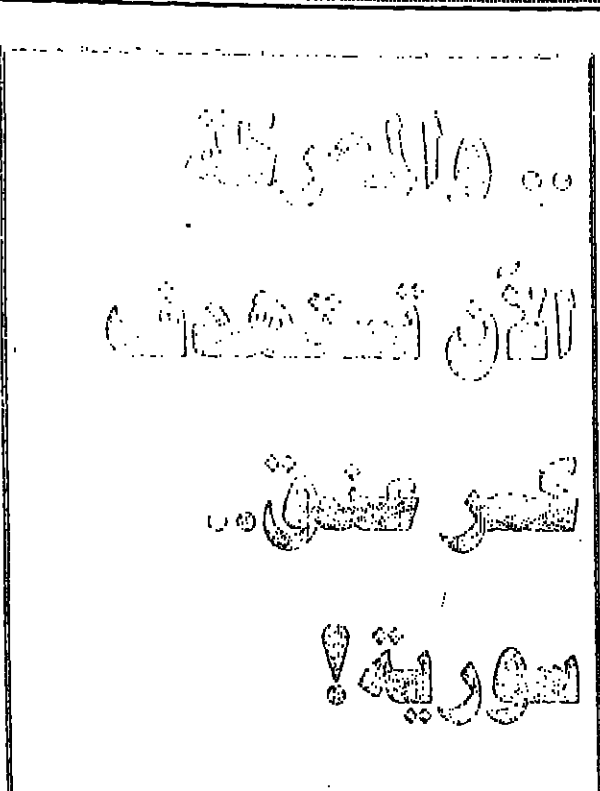
نحن لسنا على اطلاع كامل على اسرار السياسة السورية ولسنا من المدافعين عن هذه السياسة، مع ان الدفاع عنها ليس عيبا. وواضح ان هناك ما يمكن انتقاده في هذه السياسة في الكثير من المجالات، مثل العلاقة مع القضية الفلسطينية والقيادة الفلسطينية ومع لبنان وفي القضايا الداخلية. ولكن ليس هناك حق لأي دولة، مهما تكن عظمتها وجبروتها وسلطتها، ان تفرض على سورية موقفا آخر. ومحاولة كسر عنق القيادة السورية، الجارية اليوم، هي ليس فقط غير اخلاقية انما الأهم من ذلك انها لن تعود الا بالوبال على المنطقة.

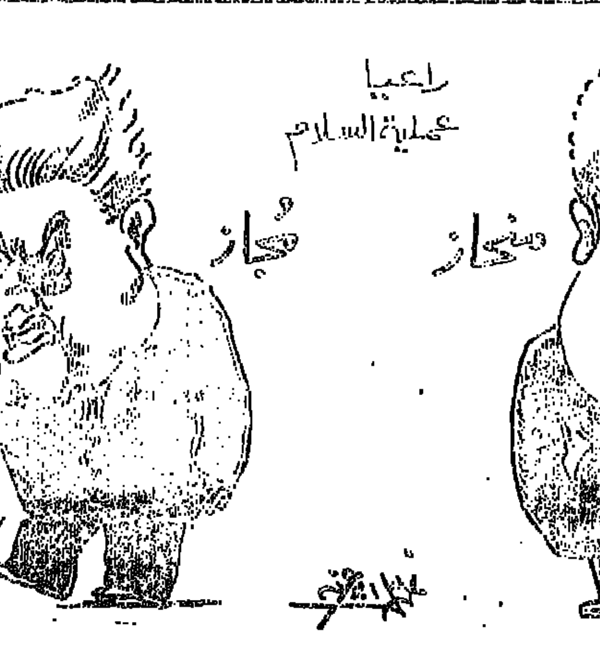
اجل، لقد كان موقف بيرس اكثر حكمة من موقف نتنياهو في التعامل مع الموضوع السوري. والادارة الامريكية ليست ملزمة، دائما، بقبول الموقف الاسرائيلي الرسمي، لأنه قد يجرها ويجر المنطقة الى خطر كارثي جديد.

ان سورية تعلن ليل - نهار انها معادية للارهاب ولكنها تفرق ما بين الارهاب الذي يستهدف المدنيين والكفاح المسلح الذي يعتبر مقاومة للاحتلال. ومن يريد ان يلخبط الأوراق في هذا الشأن، انما يستهدف لخبطة اوراق اخرى، كأن تجعل من ارهاب الدولة مثلا، سلاحا لتدمير عملية السلام.

وهذا هو الخطر الذي نخشاه.

نظير مجلي





الاضراب كان ناجحا لكن الحكومة مصرة على الخصخصة وعلى العمال ان لا يسكتوا!

■ معظم التقليصات في الميزانية ستكون على حساب الخدمات المقدمة للفئات الشعبية، اما اصحاب المداخيل العالية فسيجدون المصادر لتوفير الخدمات التي سيجري تقليصها.

■ شركات تنوي الحكومة بيعها بالمزاد العلني: شركة الكهرباء، «بيزك»، «ال - عال» للطيران، مصافي البترول، الصناعات العسكرية، «ايغد» و «دان»، والقطارات والسفن... وعشرات الشركات والمرافق الاخرى، والنتيجة فصل العمال ورفع الاسعار وارباح طائلة يجنيها اصحاب الرساميل!

■ شركة «باز» للوقود اكبر مثال على نتائج الخصخصة: بيعت لاحد الرأسماليين الذي فصل العمال وجنى الارباح الخيالية، ولا توجد «منافسة» مع شركات الوقود الاخرى فالاسعار موحدة!

● بقلم: جهاد عقل ●

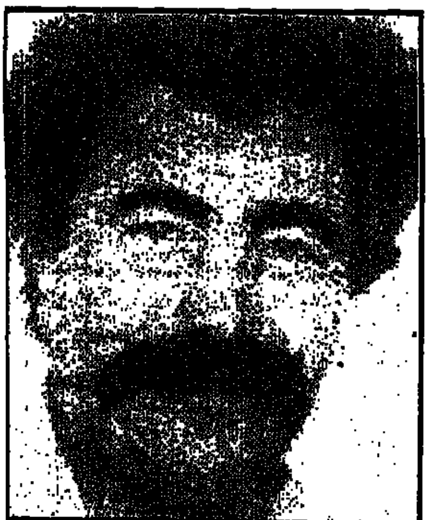


● عندما بدأ الاستعداد لاعلان اضراب انذاري لمدة ساعة في جميع المرافق الاقتصادية في القطاع العام، ابدى البعض، خاصة من داخل الهستدروت تخوفهم، من احتمال فشل الاضراب، وعدم استجابة جمهور العاملين له. وحتى قبل بدء الاضراب كانت ضغوط متواصلة من اجل الغائه، او تأجيله، وقد مورست هذه الضغوط على رئيس الهستدروت عمير بيرتس، الا انه رفضها وبشدة، قائلا انه لا بد من مواصلة الطريق، فالقرار بالاضراب تم اتخاذه بشكل مشترك مع ممثلي العاملين في اماكن العمل، ولا يوجد اي سبب لافشال مثل هذا الاضراب.

وبالفعل ففي يوم الاضراب، يوم الاثنين الاخير، ورغم ان الاضراب كان لساعة واحدة فقط، الا ان استجابة جمهور العاملين في اماكن العمل كانت واسعة. واضطر جميع المسؤولين الحكوميين للاعتراف بنجاح هذا الاضراب الهام، والانذاري، والذي شكل اشارة واحدة لما هو متوقع مستقبلا في حالة قيام الحكومة باتخاذ خطوات اقتصادية تمس بحقوق العاملين، وتؤدي الى قذفهم لسوق البطالة المأساوي والخطير، نعم كان رد الفعل مشوبا بالاعجاب من جهة، والشعور بثقل المسؤولية المستقبلية من جهة اخرى.

وحتى اصحاب الاقلام التي تفيض بحبر الدولارات، والمدعومة من اصحاب الرأسمال، اضطروا للاعتراف بأن الاضراب الانذاري كان ناجحا، رغم محاولاتهم لاظهار بعض الجيوب السلبية، مثل ما حدث في بعض فروع بنك العمال، وهذا الامر بحد ذاته غير غريب، ففكر هؤلاء «الخبراء» ليس داعما، ولا مؤيدا، وحتى ليس «براغماتيا»، ففي كل مناسبة يحاولون ضعضعة اي وحدة عمالية تتكون وتترسخ.

اما على صعيد الهستدروت كنقابة عمال عامة فقد ساد شعور واسع بالغبطة من التفاف القوى العمالية حول القيادات العمالية، مما وضع هذه القيادات امام مسؤولية تاريخية، تحتاج الى العناية والاهتمام، خاصة وانه خلال الفترة الاخيرة حدث انحسار في مكانة هذه القيادات، لانشغالها في قضايا جانبية، لا تتعلق بمحور العمل النقابي: الدفاع عن حقوق العاملين. والامر الاهم من ذلك يتعلق بالتصريحات التي اطلقها مسؤولون في الهستدروت عشية الاضراب بأنهم على استعداد «لتفهم» بعض حالات الخصخصة، في حالة قيام الحكومة بالتنسيق مع قيادة الهستدروت، الا ان رئيس الحكومة نتنياهو لم يبد اي اهتمام بهذه التصريحات، وعاد وقال: «نحن نسير نحو تنفيذ العديد من الخطوات للخصخصة..»، بكلمات اخرى، لسنا على استعداد للتفاهم، وطريقنا واضح، بيع جميع المشاريع الاقتصادية في القطاع العام، لاصحاب الرأسمال، هذا ما نصبو اليه.



* عمير بيرتس *

● عمير بيرتس: «اي مس بالاتفاقيات يعتبر اعلان حرب» ●

اللقاء الذي تم بين رئيس الحكومة، نتنياهو ورئيس الهستدروت، عمير بيرتس، جاء بعد اعلان الاضراب الانذاري، وبعد تنفيذه ايضا، ويلاحظ من خلال المعلومات التي وصلتنا عن هذا اللقاء، انه كانت محاولات من الطرفين لتهدئة الاجواء، حتى أن رئيس الهستدروت أعلن بعد انتهاء هذا اللقاء، انه تم وفي اجواء «جيدة»، وليس كل ما يعلن لوسائل الاعلام هو الحقيقة، فمن يبحث في مجمل الاقوال والتصريحات التي صدرت عن نتنياهو من جهة، وعن عمير بيرتس من جهة اخرى، يلاحظ ان اللقاء تم في اجواء غير هادئة، وسادته «اللغة الدبلوماسية» ليس اكثر. فنلاحظ ان بيرتس قد صرح بأن اي مس بالاتفاقيات القائمة «يعتبر اعلان حرب»، والمقصود بهذه الحرب من قبل الحكومة ضد جمهور المستخدمين في البلاد، وبيرتس يقصد من هذا القول، ان هناك اتفاقيات عمل، واتفاقيات بخصوص صناديق التقاعد واتفاقيات اخرى مع الحكومة السابقة، وطلب في هذا اللقاء عدم المس بأي اتفاقية من هذه الاتفاقيات.

نتنياهو رد بالمقابل «باللغة الدبلوماسية» التي يتقنها جيدا كما نعلم وقال: «بالامكان بحث القضايا المتعلقة بالهستدروت في لقاءات لاحقة باشتراك وزير المالية». واضح أن رد نتنياهو هذا، هو محاولة للتملص من الرد المباشر على تصريح عمير بيرتس، وكأنه يريد القول، «قد نقوم بالغاء بعض هذه الاتفاقيات». لانه لو اراد الالتزام بكل اتفاق قائم، لكان رده واضحا، ومباشرا، ولماذا هذا التأجيل، ولماذا يحتاج الى جلسات لاحقة تتعلق باتفاقيات قائمة!! اليس الهدف المس او الغاء جزء من هذه الاتفاقيات؟!

● الخطة الاقتصادية للحكومة كارثة للفئات المسحوقة ●

ما اعلنه وزير المالية دان مريدور خلال جلسة الحكومة الخاصة، والتي بحثت فيها تفاصيل الخطة الاقتصادية، للحكومة الجديدة والتقليصات في الميزانية، يعتبر «اعلان حرب» على الفئات المسحوقة والضعيفة، فتقليص الميزانية بمبلغ (٥) مليارات شيكل يعني ووفقا لاقتراح مريدور نفسه، ضرب الخدمات الاساسية والهامة للجماهير الشعبية، لان التقليص سيكون كالتالي:

* وزارة المواصلات - رفع اسعار المواصلات الشعبية والعامة.

* تقليص الميزانيات لوزارة المعارف.

* تقليص الميزانيات لوزارة الصحة.

* تقليص ميزانية وزارة العمل والرفاه.

* تقليص اجور العاملين في الجيش.

* فرض ضرائب على مخصصات الاولاد ومخصصات الشيخوخة لاصحاب المداخيل المتوسطة والعالية.

واضح من الخطوط العريضة المذكورة اعلاه ان معظم التقليصات ستكون في الخدمات المقدمة للفئات الشعبية، ويحق لنا ان نسأل: من يستعمل المواصلات العامة؟ ومن يحصل على سلة الخدمات الصحية العادية؟ ومن يحصل على خدمات وزارة العمل والرفاه؟ وحتى التقليص في ميزانية وزارة الامن يأتي على حساب جيوب الفئة العاملة في هذا الجهاز وليس على حساب تقليص المصروفات لاجهزة الدمار من اسلحة وما شابه ذلك.

اما الضريبة الكلامية بالنسبة لفرض ضرائب على مخصصات الاولاد والشيخوخة لاصحاب المداخيل المتوسطة وما فوق، فهذه ورقة التوت التي تحاول حكومة اليمين (سياسيا واقتصاديا) التستر بها، لان فرض ضريبة على مخصصات الاولاد لاصحاب الدخل المتوسط، سيمس شريحة واسعة من المواطنين، ويؤثر سلبا على مستوى الحياة، ويؤدي الى انتقال كثيرين من هذه الشريحة الى مستوى تحت المتوسط اي توسيع دائرة الفقر والفقراء، اما بخصوص اصحاب الدخل العالي، فكم يا ترى سيكون الدخل من مثل هذه الضريبة، من الطبقة العليا!! بدون شك ان المبالغ التي ستدفعها هذه الفئة ستكون قليلة جدا ولن تؤثر على مستوى دخلها العام او مستوى معيشتها، وهكذا سيكون المتضرر الاساسي والحقيقي من هذه الخطة وهذه التقليصات الفئات المسحوقة والقطاع الشعبي العام والواسع، وتصريحات المسؤولين بأنهم يهدفون الى توزيع العبء الاقتصادي على الجميع، ليس لها اساس، وهي مجرد محاولة من رئيس الحكومة نتنياهو ووزير المالية لذر الرماد في العيون، وتفجير سحابة سوداء لفرض الظلام على حقيقة موقفهم، الا وهو ضرب الفئات المسحوقة الشعبية اولا، لانهم وكما نعلم يمثلون مصالح الرأسمالية.

ان تأثير الخطة الحكومية سيكون شاملا على جميع الفئات العمالية والاجيرين، وهذا التأثير سيكون بمثابة ضرب لمصالح هذه الفئات، وتقليص دخلها، وضرب للخدمات الصحية والتعليمية لها، ولن يكون اي تأثير على الاغنياء واصحاب المداخيل العالية، لانهم سيجدون المصدر المالي لتوفير الخدمات التي سيجري تقليصها في هذه المجالات، ففي التعليم لديهم الامكانيات لتوفير التعليم الخاص والمعلمين الخصوصيين، وفي المجال الصحي فهم ليسوا بحاجة لسلة الخدمات الصحية الحكومية، فعندهم التأمين الصحي المكمل والامكانيات المالية للحصول على الخدمات الصحية الناجعة وعالية

(البقية ص١٥)

اكثر من (٤٠٠) اكاديمي عربي من حملة الدكتوراة لا يجدون اماكن عمل!

■ وفي الجامعات ومؤسسات البحث يعمل (٤٧) فقط، معظمهم محاضرون مؤقتون. وهناك (١٧) الف اكاديمي عربي يستصعبون ايجاد مهن تلائم مؤهلاتهم وقدراتهم العلمية!

■ نقص كبير في مؤسسات التأهيل: في الوسط العربي (١٨) مؤسسة فقط لتأهيل وتطوير القوى العاملة بينما هو بحاجة الى (٤٥) مؤسسة، وتنعدم فيه مراكز الاستشارة والمعلومات التشغيلية ومكاتب الاكاديميين، الموجودة في الوسط اليهودي.

■ مؤسسات التأهيل التابعة لـ «بيزك» وشركة الكهرباء مغلقة امام الجمهور العربي، لانها تشترط انهاء الخدمة العسكرية!

● التمييز ضد الجماهير العربية في اسرائيل قائم في معظم المجالات، ومنها مجال التأهيل المهني حيث يبرز النقص الكبير في مؤسسات التأهيل المهني ومكاتب خدمات تشغيل الكبار وغيرها، وتغلق الابواب امام العرب في المؤسسات التي تشترط انهاء الخدمة العسكرية.

كذلك يعاني خريجو الجامعات العرب من عدم اتاحة الفرصة لهم لترجمة التحصيل العلمي الى انجازات مهنية اقتصادية، ويحرم معظمهم من امكانية العمل في القطاع الحكومي، ويشكل اشتراط انهاء الخدمة العسكرية عائقا امام تقدمهم.

والتقرير الذي اعده الصحفي والباحث جعفر فرح لجمعية التوجيه الدراسي للطلبة العرب في اطار مشروع المساواة في الحقوق في التعليم العالي، يكشف عن الغبن اللاحق بالجماهير العربية والاكاديميين العرب في هذه المجالات:

يتم التأهيل المهني في اسرائيل عبر مؤسسات تربوية ثانوية وفوق ثانوية معترف بها، او عبر مؤسسات تربوية خاصة او جماهيرية تنال مصادقة على برامجها من الوزارات الحكومية التالية: * وزارة العمل والرفاه الاجتماعي * وزارة السياحة (تأهيل سياحي في مجالات السياحة) * وزارة الصحة (مجالات التمريض، امتحانات ترخيص للاطباء، علاج بالتشغيل، صعوبات القراءة) * وزارة المواصلات (سيارات، امتحانات سياحة وملاحة) * وزارة الخارجية (عاملون في الخدمات الخارجية، ملحقون دبلوماسيون وغير ذلك) * وزارة الاتصال (عاملون في «بيزك» - تلفزيون) * وزارة الطاقة (تأهيل عاملين لشركة الكهرباء...).

ويقول معد التقرير: «لكن قسما من مراكز التأهيل المذكورة مغلق امام الجمهور العربي مثل مؤسسات التأهيل التابعة لـ «بيزك» وشركة الكهرباء، فلا يوجد فيها تأهيل لعاملين عرب لان مؤسسات التأهيل التابعة لها تطالب المتقدمين بانهاء الخدمة العسكرية كشرط قبول لبرامجها.

. والمهندسون الذين نالوا التأهيل في مؤسسات اكاديمية معترف بها لا يقبلون للعمل في «بيزك» ولا في شركة الكهرباء، رغم ان هاتين الشركتين الكبيرتين توفران خدمات للجمهور العربي وتحظيان بحقيقة ان الجمهور العربي مستهلك لديهما.

وتعطي بقية مؤسسات التأهيل التابعة للوزارات الحكومية هي، ايضا، اولوية في دوراتها لمن انهوا الخدمة العسكرية».

ولتوضيح الامر نستعرض معطيات تنشرها وزارة العمل والرفاه الاجتماعي وهي الوزارة التي تصادق على معظم برامج التأهيل المهني في اسرائيل:

● وزارة العمل - قسم التأهيل المهني وتطوير القوى العاملة ●

هذا القسم مسؤول عن تنفيذ خطة التأهيل المهني وتطوير قوى عاملة مهنية للاقتصاد، بما يتوافق مع سياسة الحكومة. وتستخلص اهداف التأهيل المهني من احتياجات الاقتصاد: صناعة، خدمات، الجيش الاسرائيلي، وما اشبه.

ويعكف القسم على اعداد برامج تعليم واطر ملائمة لتأهيل قوى عاملة بحسب الشروط الجديدة والمتغيرة للمجتمع الاسرائيلي. وبالاضافة الى ذلك يهتم القسم بالشرائح السكانية الضعيفة وبالمهاجرين الجدد في كل المجالين. ويتضمن القسم اطرا ملائمة، ويفعّل عددا من اجهزة التأهيل المهني للكبار.

وفي كراسة «دورات التأهيل والاستكمال المهني للكبار» التي ينظمها القسم ويتابعها، والتي نشرت سنة (٩٥) وجدت المعطيات التالية:

مؤسسات قسم تأهيل القوى العاملة التابع لوزارة العمل، الناشطة في اسرائيل:

نوع المؤسسة	العدد العام	العدد في الوسط العربي
مؤسسات تأهيل وتطوير القوى العاملة للكبار	٢٠١	١٨
مكاتب خدمات تشغيل الكبار	١٢٠	١٧
مراكز الاستشارة والمعلومات التشغيلية	[illegible]	[illegible]
مكاتب الاكاديميين	[illegible]	[illegible]
مكتب للبحارة	[illegible]	[illegible]

يقول معد التقرير: «ان حقيقة ان معظم الجمهور العربي لا يتلقى تأهيلا مهنيا يجب ان تؤدي الى فتح المزيد من مؤسسات التأهيل المهني، ولكن من ناحية فعلية هذا ليس موجودا.

لاعداد هذا التقرير لم نفحص مستوى او جوهر الدورات المعطاة في الوسط اليهودي مقابل العربي، ولكن من ناحية الارقام ينبغي ان تكون في الوسط العربي ٤٥ مؤسسة تأهيل وتطوير قوى عاملة للكبار على الاقل، مقابل الـ (١٨) الموجودة. و (٢٢) مكتبا للكبار في خدمات التشغيل (مقابل الـ ١٧ الموجودة)، ومركزان للاستشارة والمعلومات التشغيلية على الاقل (لا يوجد اي مركز كهذا)».

● تأهيل تقنيين وهندسيين ●

«معهد تأهيل التقنيين هو الجهة الحكومية العليا المسؤولة عن تأهيل تقنيين وهندسيين بعد الخدمة العسكرية وهو يزود الخريجين بشهادة تقني او هندسي، ويواظب المعهد على الحفاظ على مستوى تعليمي عال ومتجانس في كل الكليات التكنولوجية، ويراقب شروط القبول والتسجيل للتعليم. ويتقدم الطلاب في كليات معهد تأهيل التقنيين الى امتحانات رسمية ويعدون وظيفة نهائية.

ويعرض المعهد العديد من المهن التقنية التي تعلم حسب برامج تعليمية يعدها ويبنيها اخصائيو المعهد ومسؤولو الصناعة في الاقتصاد الاسرائيلي. وبهذه الطريقة يراقب المعهد الاتجاهات المهنية المختلفة، ويهتم بتجديدها وحتلنتها بما يتلاءم مع التقدم العلمي في البلاد.

وتزود كليات المعهد بتجهيزات حديثة ومختبرات متطورة. وتتاح امام الطلاب امكانية التوجه الى المنشآت التقنية والعلمية ذات المستوى العالي.

وينال الطلاب بصفتهم جنودا مسرحين دعما لتمويل التعليم، والطلاب من المهاجرين الجدد ينالون اعفاء كاملا (من قبل ادارة الطلاب) طيلة فترة دراستهم.

وفي الوسط اليهودي توجد (٤٣) كلية تقنية و (١٠) معاهد لتأهيل معلمي ومرشدي التعليم التكنولوجي، مقابل (٣) كليات تقنية فقط في الوسط العربي بينما لا يوجد فيه ولا اي معهد»!

ويعلق معد التقرير على ذلك قائلا: «لقد كان من المفروض ان تكون في الوسط العربي، بحسب نسبة المواطنين العرب واحتياجاتهم، من ٨ - ٩ كليات تكنولوجية ومعهدان لتأهيل معلمي ومرشدي التعليم التكنولوجي. اما في الوضع الحالي فان كليات التأهيل هذه تستوعب عددا ضئيلا فقط من الطلاب العرب. ومن الواضح ان الوضع الذي يتلقى فيه الجندي المسرح كل التسهيلات المذكورة يوفر له نقطة انطلاق افضل بكثير منها لدى الطالب العربي».

● مركز الاستشارة والمعلومات التشغيلية ●

«مركز الاستشارة والمعلومات التشغيلية يكاد لا ينظم اي نشاط في الوسط العربي، ولا يخصص اية خدمات له. وفي اطار هذا المركز يتم تفعيل مكتبات مهنية وقسم لـ[illegible] المهن والتي [illegible] سلسلة مساحية حول المهن. ومن هذه الناحية يمكن الاشارة بوضوح الى انعدام شبه مطلق للابحاث حول المهن في الوسط العربي، ووزارة العمل لا تهتم بتوزيع او نشر مواد تلائم الجمهور العربي باللغة العربية.

وبالاضافة الى وزارة العمل هناك مراكز منظمة اضافية تزود المواطنين اليهود بالمعلومات والتوجيه، ولا تتوجه الى الجمهور العربي، سواء في جمع المعلومات او في النشر ومنها: * الهستدروت العامة، قسم تنظيم مجالس العمال - وحدة التنظيم والعضوية * قسم التأهيل - وحدة توجيه الجنود المسرحين التابعة لوزارة الامن، الذي ينشر كراسة معلومات للجندي المسرح».

* * *

وعن المردود الاقتصادي للاكاديميين العرب يقول معد التقرير: «يجدر بنا ان نتذكر ان ابحاثا كثيرة كانت قد بينت ان المردود الاقتصادي لخريج الجامعة العربي اكثر انخفاضا مما هو عليه لدى الطالب اليهودي. فحوالي ٦٠٪ من خريجي الجامعات العرب يعملون مكرهين، في جهاز التربية والتعليم وفي السلطات المحلية حيث ان المردود الاقتصادي منخفض.

وفي حين توفر الدراسة العليا لدى اليهود امكانيات وسبلا كثيرة لاعمال مهنية ذات مركز عال، فانها لدى العرب اقل اهمية ونجاعة. والهوة في التحصيل المهني والمردود الاقتصادي بين اليهود والعرب تبرز بشكل خاص لدى الاكاديميين العرب، وهذا الوضع من انعدام المساواة يمنع ترجمة التحصيل العلمي الى انجازات مهنية اقتصادية».

● القطاع الجماهيري الحكومي ●

«معطيات التشغيل في القطاع الحكومي هي الاكثر [illegible]: فقط ٠٫٥٨٪ من العرب يعملون في [illegible] وهنا يحير [illegible] هذا الواقع الاليم في فرص التشغيل في اسرائيل. فأكثر من اربعمئة اكاديمي عربي من حملة لقب الدكتوراة فما فوق، لا يجدون اماكن عمل وفي كل الجامعات ومؤسسات البحث يعمل ٤٧ فقط ومعظمهم محاضرون مؤقتون. واليوم هناك (١٧) الف اكاديمي عربي يستصعبون ايجاد مهن تلائم قدراتهم وطاقاتهم العلمية».

ويضيف «في السنتين ٩٤/٩٥ حاولت الحكومة استيعاب عشرات من الاكاديميين العرب في خدمات الدولة في اطار برنامج «التفضيل الايجابي». وعمليا فقد تم

←

استيعاب حوالي ٣٠٠ اكاديمي عربي في خدمات سلك الدولة في السنتين الاخيرتين، لكن رغم هذا فمعدل دمج المواطنين العرب في مؤسسات الدولة لا يزال شكليا وحتى الان لا يوجد عرب بالمرة في ديوان رئيس الحكومة؛ وفي معظم الوزارات الحكومية في القدس».

● سلطة خدمات الدولة ●

«وتخصص لجنة الوزارة للتنسيق والادارة ١٨٠ وظيفة لاستيعاب العرب في الوزارات الحكومية، وقد تم استيعاب ٧٠ عربيا في الوزارات الحكومية المختلفة سنة ٩٣/٩٤. وفي سنة ٩٤/٩٥ كان من المفروض ان تخصص (٤٠) وظيفة للعرب، و (٤٠) اخرى للسنة التي تليها. وبالاضافة الى ذلك نشرت سلطة مؤسسات الدولة المناقصات المخصصة للجمهور بأكمله باللغة العربية ايضا. وقد تضمنت العملية (٢٢) وزارة.

وخلافا للسنة السابقة حيث تقدم لكل وظيفة عشرة اشخاص، ففي المناقصة التي اعلن عنها في السنة المنصرمة شهدنا انخفاضا في عدد التوجهات، وكانت هناك تسع وظائف لم يتقدم اليها احد وباقي الوظائف تسجل اليها ثلاثة اشخاص لكل وظيفة بالمعدل، ورغم عدد المتقدمين بقيت بعض الوظائف بدون مرشحين ملائمين».

ويضيف: «وفي عملية الاستيعاب العادية للعمال في خدمات الدولة تم استيعاب ٢١٨ عربيا. ومعظم الوظائف المخصصة لاستيعاب العرب كانت وظائف خاصة بمجالات تتعلق بالعرب وليس وظائف عامة تتعلق بكل المواطنين. ومن احصاء اجرته جمعية «سيكوي» يتضح ان هناك (١٦٠٠) اكاديمي عربي اليوم من حملة اللقب الثاني والثالث يعملون في مهن حرة».

● اشتراط الخدمة العسكرية في القبول للعمل ●

«ورغم السياسة المعلنة فان معظم الوظائف في خدمات الدولة تتطلب انهاء الخدمة العسكرية كشرط للقبول. ومؤخرا الغي هذا الاشتراط عبر اعلان من سلطة خدمات الدولة لطلب مديرين للمكاتب المحلية في استطلاع السكان والمساكن، الامر الذي تم بعد احتجاجات عدة كانت بمبادرة من مشروع المساواة في الحقوق التابع لجمعية التوجيه الدراسي للطلبة العرب».

● القطاع الخاص ●

«وحتى في هذا القطاع هناك تمييز فالعديد من الاعلانات تطلب عاملين انهوا الخدمة العسكرية، حتى لمهنة بيع ملابس وغسل الصحون في المطاعم وغيرها..

وبما ان هذا التمييز ليس مؤسساتيا فمن الصعب حصره ومكافحته. وجدير بنا ان نفكر مليا في برنامج مقاطعة للمؤسسات والشركات التي لا تشغل عربا، حيث نتمكن من تشغيل قدرتنا الاستهلاكية. مثل تفضيل شركات هواتف، بنوك، شركات غذاء تشغل مهندسين وعاملين عربا على شركات عنصرية».

● الشركات الحكومية ●

«والشركات الحكومية لا تستوعب تقريبا عاملين عربا. شركتا «بيزك» وشركة الكهرباء، مثلا لا تستوعبان ولا تؤهلان عمالا عربا، بالمرة تقريبا، ما عدا المهن الهامشية مثل قراءة عدادات للمستهلكين في شركة الكهرباء، وموظفي البيع في «بيزك».

ومن بين ٣٤٤ تعيينا لادارات الشركات الحكومية في السنتين ٩٣-٩٤ اختير ثلاثة مرشحين عرب فقط».

● النقص في الاكاديميين العرب ●

ويضيف معد التقرير: «على الرغم من المعطيات المذكورة اعلاه فقد نشأت ظاهرة اخرى، في اعقاب هذا التمييز، وهي نقص حاد في الاكاديميين العرب، وهذا الامر بارز خاصة في مجالات علاجية اجتماعية. فقد نشأ وضع اعلنت فيه وزيرة العمل عن (١٠٠) ملاك لعاملين اجتماعيين للوسط العربي، ولكن لم تكن هناك قوى عاملة مؤهلة لتقوم بتلك الوظائف. وفي الخدمات النفسانية الاستشارية هناك نقص حاد في المستشارين، ولكن هنا ايضا لا توجد قوى عاملة بامكانها القيام بالوظائف المطلوبة.

وفي مجال الصحة النفسية يتضح أن الوسط العربي فيه اليوم: اخصائي نفسي كبير واحد، وثلاثة اخصائيين نفسانيين لـ ٩٩٢,٥٠٠ نسمة، وسبعة اخصائيين نفسانيين تربويين خبراء، لـ ٢٤٢ الف طالب،

■ من بين (٣٤٤) تعيينا لادارات الشركات الحكومية، اختير (٣) مرشحين عرب فقط!

■ أعلن عن (١٠٠) ملاك لعاملين اجتماعيين في الوسط العربي، لكن لم توجد قوى عاملة مؤهلة للقيام بها!

■ يوجد فقط (٧) اخصائيين نفسانيين تربويين لـ (٢٤٢) الف طالب عربي!

● عاملان في شركة الكهرباء. شرط القبول للعمل: الخدمة العسكرية! ●

وفي احيان متقاربة ينشأ وضع لا يمكن فيه اشغال الوظائف المعلن عنها في المناقصات بسبب النقص في اخصائيين يستوفون شروط المناقصات. الا ان الوضع الناشئ هو حلقة مفرغة يجب كسرها عبر اتاحة الامكانية للتأهيل والتعليم وتشغيل الكبار».

هذا التقرير اعده لجمعية التوجيه الدراسي للطلبة العرب جعفر فرح

● جانب من كلية تأهيل المعلمين العرب: ٦٠٪ من خريجي الجامعات العرب يعملون في سلك التعليم، معظمهم بسبب عدم وجود خيارات اخرى! ●

المستشفى الايطالي في حيفا ليس المحطة الأخيرة لمرضى السرطان!

تقرير وتصوير: ميسون اسدي

المستشفى الطلياني في حيفا.. هذا الاسم ارتبط في اذهان الكثير من الناس وكأنه المحطة الأخيرة لمرضى السرطان وبعدها ينتقلون الى رحمته تعالى!

عندما قررت الكتابة عن المستشفى سمعت من صديقاتي انها انجبت اثنين من اطفالها في هذا المستشفى وان صديقتها استأصلت المرارة، واخذت تروي لي الكثير عن امراض اخرى تم علاجها في هذا المستشفى بنجاح.. اذا من اين اتت هذه الأفكار المسبقة عن المستشفى؟ ولماذا ارتبط اسمه بمرض السرطان الخطير، حتى صار الكثير من الناس يخشون دخول هذا المستشفى الخلاب في جماله ونظافته؟... حملت هذه الاسئلة وتوجهت الى المستشفى لتقصي الحقيقة.

*** اول مستشفى في منطقة حيفا ***

الدكتور الياس طوبي، مدير المستشفى، حدثنا عن التاريخ فقال: تأسس المستشفى عام (١٩٠٥) بمبادرة الجمعية الوطنية الايطالية، وهي واحدة من عدة جمعيات خيرية اقامتها مجموعة من الاصدقاء، ميسوري الحال، وكان هدفها اقامة المؤسسات الاجتماعية مثل المدارس والمستشفيات والأديرة في الأراضي المقدسة.

وكانت الدول الاوروبية في ذلك الوقت تطمع في موطئ قدم استعماري في كل مكان في الشرق الأوسط خاصة وان الامبراطورية العثمانية كانت في النزع الأخير وسميت في حينه «الرجل المريض».

والجمعية التي أقامت المستشفى الطلياني اقامت ايضا مدرسة الكرمليت والدير الموجود في نهاية شارع «ستيلا مارس» في حيفا، ورغم ان النية هي موطئ قدم للاستعمار الا ان السكان المحليين استفادوا من هذه المؤسسات، وقد خدم هذا المستشفى المواطنين العرب واليهود.

عندما تأسس المستشفى كان الأول في منطقة حيفا، في شارع «ستانتون» قرب البرج المطل على البلدة القديمة، وفي عام ١٩٢٧ تم اخلاؤه وتسليمه لبلدية حيفا.

اثناء الحرب العالمية الاولى، طرد الايطاليون من البلاد واغلق المستشفى، وفي عام ١٩٢٩ قامت الجمعية القومية الايطالية ببناء المستشفى الحالي من جديد وقد انتهت من بنائه عام ١٩٣٢. في عام ١٩٤٧ - ١٩٤٨ استولى اليهود على المستشفى وتم تحويله الى مستشفى عسكري وبعد سنة اعيد الى اصحابه الطليان.

*** ارنستو سيكابرلي ***

يقول د. الياس طوبي: ارنستو سيكابرلي هو مؤسس الجمعية التي أقامت المستشفى، وهو باحث آثار اختص بالآثار الفرعونية وهو الذي اكتشف قبر نفرتيتي، وهناك بيت ازياء على اسمه.

لقد شاهد سيكابرلي الفقر في مصر وكيف ان راهبات الفرنسيسكان يقدمن المساعدة للأطفال هناك، فراقت له الفكرة وقام بتأسيس الجمعية الوطنية الخيرية الايطالية عام ١٨٨٢ مع خمسة من اصدقائه الاغنياء. وبدأ بجمع المال لاقامة المشاريع الخيرية وذلك بدعم الملك والحكومة الايطالية.. وفي اواخر القرن التاسع عشر انتقل الى فلسطين وبنى مدرسة راهبات الكرمليت وبعدها المستشفى الايطالي في حيفا ومدرسة الراهبات في كفركنا ومدرسة راهبات في طبريا وبنى ديرا واشترى قطعة أرض وبنى كنيسة الطوبيان وهي معروفة عالميا، واقام فندقا بين منطقة طبريا والجاعونة (روشبينا)، وفي عام ١٩٢٠ اقام المستشفى الطلياني في القدس وهو اليوم مبنى وزارة التربية والتعليم، وبعدها انتقل الى سوريا والاردن ولبنان واقام في الاردن المستشفى الطلياني وفي لبنان اقام مدرسة ومستشفى للراهبات لكنهما غير موجودين اليوم.. كما بنى المدارس والمستشفيات في اليونان والصين والبانيا والمغرب.

يذكر ان هذه الجمعيات الايطالية ما زالت تتبرع بالملايين للمؤسسات الطليانية. وحاليا يخططون لمشروع بتكلفة (٣٠) مليون دولار، هو عبارة عن متنزه يبدأ من الطابغا قرب طبريا وحتى «كفار ناحوم» وهذه هي الطريق التي سار بها السيد المسيح.

* مبنى المستشفى الايطالي في حيفا *

*** اقسام المستشفى ***

اثناء الحديث انضم الى الدكتور طوبي كل من د. خالد تركي والاستاذ سامي بحوث. الاول انهى دراسته في تشيكوسلوفاكيا، ويعمل في المستشفى منذ عام ١٩٨٧ في قسم الانكولوجيا (السرطان)، وتعلم اللغة الايطالية في دورات خاصة في القنصلية الايطالية ومن خلال المحادثة مع الراهبات العاملات في المستشفى. اما بحوث فقد ولد في نفس المستشفى عام ١٩٣٤ وقد بدأ عمله كممرض عام ١٩٥٧ وفي عام ١٩٧٠ تلقى مهمة الادارة وهو اليوم المسؤول الاداري عن المستشفى ومن ضمن صلاحياته الاشراف على دخول وخروج المرضى، وشراء المعدات ومحاسبة كوبات حوليم.

* د. خالد تركي *

* المدير سامي بحوث *

تحدثنا عن اقسام المستشفى الهامة وهي ثلاثة: الاول - قسم الأمراض الداخلية، الثاني - قسم الأمراض السرطانية، الثالث - قسم الأشعة العام (רנטגן). وتستحوذ الجراحة على القسم الأكبر لهذه الأقسام.

ويعتبر المستشفى عموميا، اذ ان ٨٥٪ من فعالياته عمومية. والمستشفى يخضع لجميع قوانين وزارة الصحة ويستقبل المرضى الذين يرسلهم صندوق المرضى مع تعهد بالتكاليف، وتكون المحاسبة شهرية مع الصندوق.

ويؤكد د. طوبي وزميلاه، ان في المستشفى غرف عمليات متطورة، وتحتوي على افضل الوسائل والمعدات. «ونحن نجري الكثير من العمليات، مثل الكلى وكيس المرارة وجروح المعدة والعمليات التجميلية، وهذه العمليات تتم بالتنسيق مع صندوق المرضى وهي التي تبعث بالجراحين المختصين، ولكن.. معظم عمليات التجميل تتم على الحساب الشخصي للمريض».

*** الطاقم الطبي ***

لدينا طاقم طبي جيد، (٦) اطباء اثنان منهم يهود، و(٢٠) ممرضة مع تجربة كبيرة، (٥) من بينهن يهوديات، عاملان تقنيان في قسم الأشعة، طبيب خاص للتخدير، وتقني خاص مسؤول عن مختبر مجهز بأفضل الوسائل وتجري به الفحوصات على مدار (٢٤) ساعة. ويعمل الى جانبهم (١٠) عمال يسهرون على خدمة المرضى وهم مسؤولون عن تقديم الطعام وغيره.

اما القوة الأساسية التي نفخر بها فهي طاقم الراهبات الممرضات وهن متطوعات من خارج البلاد واثرهن ملموس بشكل واضح لانهن مؤمنات بالعطاء، ويتعاملن بحب مع المرضى. والنظافة لديهن فوق كل اعتبار. والاهتمام بالازهار والخضار داخل وحول المستشفى ومعاملة المرضى باهتمام بالغ.. كل هذا يشهد عليه نزلاء المستشفى. اما المديرة العامة للمستشفى فهي الراهبة ايمنويلا وهي من أصل ايطالي.

*** كيف ارتبط اسم المستشفى بالسرطان؟ ***

يؤكد د. طوبي وزملاؤه:

لدينا (١٠٠) سرير وفي معظم الأوقات يمتلئ فقط ٦٠٪ من الأسرة. والسبب تعامل اجهزة صناديق المرضى معنا. نحن نشعر ان هناك تمييزا ضد المستشفى، فالأسرة الفارغة تحمل تكاليف المستشفى باهظة. ولو تعاملت صناديق المرضى معنا [illegible] العبء علينا.. وقد عقدنا العديد من الجلسات مع كوبات حوليم مطالبين تغيير المعاملة، ولكن لا حياة لمن تنادي..

في المستشفى كان هناك جناح ولادة وكان يستوعب قبل عشر سنوات (١٣٠) ولادة في الشهر، وقد هبط العدد ليصبح (٣٠) ولادة في الشهر ومن ثم تم اغلاق القسم، والسبب يعود لأن وزارة الصحة قسمت المنطقة الشمالية الى أقسام بحيث تلد كل امرأة في قسم معين وتم اخراجنا من هذا التقسيم مما أجبرنا على اغلاق قسم الولادة.

ارتبط اسم المستشفى بمرض السرطان لاننا اول من احضر جهاز الأشعة لعلاج الأورام السرطانية، وحتى ذلك الوقت (١٩٥٩) كان العلاج بالمواد الكيماوية فقط. تجري لدينا خلال الاسبوع من (١٥) الى (٢٠) عملية ومن (٥) الى (١٠) متعلقة بالأورام السرطانية. ونحن ايضا نقوم بتحضير بعض مرضى السرطان لاجراء العمليات عن طريق الأشعة والمواد الكيماوية مثل سرطان الامعاء الغليظة ومن ثم نعيدهم الى العيادات التي وجهتهم الينا.. فكرة «المحطة الأخيرة» وكأن مريض السرطان يأتي الينا فقط قبل الموت، هي فكرة مخطوءة جدا. ان المرضى يأتون الينا فقط لاننا متطورون في هذا المجال ومميزون عن بعض المستشفيات التي لديها اقسام الانكولوجي. ونحن نتلقى نسبة اعلى من باقي الأمراض التي ترسل الينا بشكل عام.. واذا كان المريض في المراحل المتأخرة لا نستطيع مساعدته سوى في

* المريضة ديبي من كرميئيل *

التخفيف من آلامه.

واذا كان الموت لا محالة، فانه سيموت اينما كان، في بيته او في اي مستشفى آخر، ولكن الجمهور لا يعرف ذلك ويعتقد اننا نتلقى المراحل النهائية فقط، لذلك يفضلون الذهاب الى مستشفيات اخرى نتيجة لهذه الأفكار المسبقة. ولو ان المريض حضر الينا في مراحل مبكرة من المرض فامكانية العلاج والشفاء واردة خاصة اذا كان هناك مجال لاستئصال العضو المصاب، وكثير من المرضى خرجوا من عندنا معافين تماما.

بالمناسبة، لقد تميز مستشفانا على مر السنين باجرائه عمليات معقدة جدا، والجيل القديم وكبار السن ما زالوا يذكرون ذلك وليست لديهم الأفكار المسبقة الموجودة اليوم.

وعلى فكرة فان جهل المرضى بما لدينا يفقدهم استغلال الخدمات المتطورة التي لدينا.

وبالمناسبة صحيح ان هناك تضييقا من قبل صناديق المرضى ولكن بلدية حيفا تساعدنا كثيرا من الناحية المادية وخاصة في اعفائنا من الضرائب التي من المفروض ان ندفعها لها.

*** الراهبة الاردنية ***

هي الراهبة جما حتي وتعمل في المستشفى منذ (٥) سنوات بعد ان انهت دراسة التمريض في ايطاليا لمدة ثلاث سنوات وحصلت على شهادة التمريض في روما، وجاءت الى المستشفى في بعثة من هناك، وهي الآن مسؤولة قسم النساء في الانكولوجي..

تقول الأخت جما: اعمل كممرضة بجانب الاطباء ومع المرضى وأقوم مع اخواتي الراهبات بزيارة المرضى وتلبية احتياجاتهم. اعمل منذ السابعة صباحا وحتى السابعة مساء وبشكل تطوعي، وتستطيع الجمعية التي ارسلتني ان تنقلني الى مكان آخر، لان الأهمية عندنا هي خدمة المحتاجين اينما كانوا، ولهذا اخترت ان أكون راهبة ومرسلة.

بالنسبة لوجودي في القسم الانكولوجي لقد تعودت على ذلك وأحب ان أكون صبورة وقريبة من المرضى فانا احبهم كثيرا، وقد تعلمت في هذا القسم بان المريض يحب الابتسامة والتشجيع.

*** مريضة في قسم الانكولوجيا (سرطان) ***

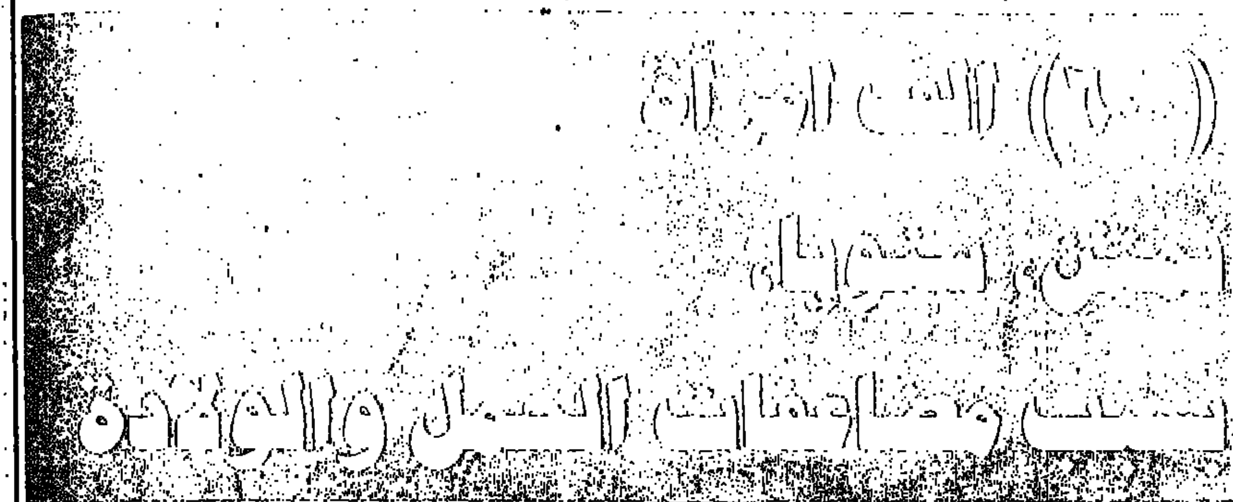
ديبي من أصل امريكي وتسكن في كرميئيل، تقول: صديقتي توفيت قبل سنتين من مرض السرطان وانا الآن مصابة بأورام سرطانية في الرئة. وقد تفشت داخل العظام وأتلقى العلاج بالأشعة والمواد الكيماوية. وصلت الى المستشفى لا حول لي ولا قوة، والآن استطيع السير على قدمي ووضعي تحسن كثيرا، فالمكان والمعاملة يوحيان لي بالطمأنينة وأوصي كل المرضى بأن يأتوا للمعالجة هنا، فانا نفسي كنت اعتقد ان هذا المكان هو محطة اخيرة للمريض ولكن تبين لي ان هذا ليس صحيحا بالمرة.

ديبي كانت تتحدث الينا وهي ممسكة بيد الممرضة الراهبة التي تمت بينهما علاقة حميمة وطيبة وكأنها من افراد عائلتها.. وتضيف ديبي: النظافة والهدوء في هذا المكان يجعلانني سعيدة جدا.

* الراهبة الاردنية جما حتي *

* احدى الاجهزة الحديثة *

تقرير منظمة الامم المتحدة للطفولة (يونيسيف) لعام ١٩٩٦:





□ ■ ومقابل كل واحدة من هذه الوفيات، تعاني (٣٠) امرأة من الاضرار والالتهابات والاعاقات المؤلمة والمبرحة، والتي قد تستمر مدى الحياة، وعددهن الاجمالي (١٨) مليون امرأة!

□ ■ اسباب الوفاة: النزف الدموي الشديد، محاولة الاجهاض بطرق مؤذية، تلف الدماغ او الكلى الناتج عن التشنجات العنيفة، الحمج الناجم عن تسمم الدم بسبب الالتهابات، فقر الدم (انيميا)، وتعسر الولادة.

□ ■ مليونا فتاة تتعرض للختان، سنويا. وتحتل كل من مصر واثيوبيا وكينيا ونيجيريا والصومال والسودان ٧٥٪ من جميع الحالات.

□ ■ وفيات الامهات.. هي اكبر مأساة مهملة في الوقت الراهن!

● تشير التقديرات الجديدة، وهي الاولى منذ عقد من الزمن، الى ان حوالي (٦٠٠) الف امرأة تموت سنويا بسبب مضاعفات الحمل والولادة. ومقابل كل امرأة منهن تعاني (٣٠) امرأة اخرى من اضرار واصابات خطيرة نتيجة للحمل. وتعتبر عملية الوضع سببا رئيسيا لوفاة الامهات الشابات واعاقاتهن.

هذا ما جاء في مقدمة تقرير «مسيرة الامم» لعام ١٩٩٦، الصادر عن منظمة الامم المتحدة للطفولة (يونيسيف) بقلم محرر التقرير، بيتر آدامسون.

ويضيف التقرير وهو يتحدث عن هذه الازمة التي تعاني منها الدول النامية وخاصة في بلدان افريقيا الصحراوية واسيا والمحيط الهادي، وبصورة اخف في الشرق الاوسط وشمال افريقيا:

انها قصة مئات الالوف من النساء اللاتي تزهق ارواحهن وهن في سن المراهقة وفي العشرينات والثلاثينات من اعمارهن، بطريقة مختلفة عما خبره المجتمع الانساني.

فان اكثر من ١٤٠,٠٠٠ امرأة يقضين نحبهن بسبب النزف الدموي الشديد، وتموت ٧٥,٠٠٠ امرأة اخرى نتيجة لمحاولتهن الاجهاض، حيث يتناول بعضهن الادوية ويتعرض بعضهن الاخر لعملية تدليك (مساج) عنيفة. وقد حاول كثير منهن ادخال ادوات حادة، مثل علاقة معاطف مستقيمة، او ابرة حياكة او عصا حادة، الى الرحم. وهناك نحو ٥٠,٠٠٠ امرأة وفتاة يحاولن استخدام هذه الوسائل كل يوم ويظل معظمهن على قيد الحياة، بيد انهن يعانين من آثار مروعة، لكن قسما منهن يقضين نحبهن بسبب ثقب الرحم او التهاب الجرح والحمج. ويمتن وحيدات بعد ان يعانين من النزيف والخوف والخجل.

كما ان هناك نحو ٧٥,٠٠٠ امرأة يمتن بسبب تلف الدماغ او الكلى في غمرة التشنجات العنيفة اثناء الحمل او الوضع، وهي حالة وصفتها احدى الامهات الناجيات بأنها «اسوأ شعور في العالم يمكن ان يتخيله المرء».

وتموت ١٠٠,٠٠٠ امرأة اخرى بسبب الحمج الناجم عن تسمم الدم نتيجة لزيادة الالتهابات بسبب عدم شفاء الرحم او بسبب بقاء بعض قطع الحبل السري، الامر الذي يؤدي الى ارتفاع حرارة جسم المرأة ويعرضها الى الهلوسة وآلام مبرحة.

وتموت اعداد اقل، ولكنها ليست صغيرة بأي حال من الاحوال، نتيجة الاصابة بفقر الدم (انيميا) الذي هو من الحدة، بحيث يؤدي الى توقف عضلات القلب.

ويموت حوالي ٤٠,٠٠٠ امرأة سنويا نتيجة لتعسّر الولادة (المخاض) الناجم عن تكرار انقباض عضلات الرحم، مما يؤدي الى سحق جمجمة الطفل، الذي يعاني اصلا من الاختناق نتيجة الضغط على الانسجة الناعمة لحوض المرأة الصغير جدا.

وقد توفي خلال السنوات الماضية من التسعينات نحو ثلاثة ملايين امرأة شابة بهذه الطريقة، ويتوقع ان تستمر هذه الوفيات بمعدل ١,٦٠٠ وفاة يوميا في المستقبل.

نسبة الاصابات

معظم هذه الوفيات لا يحدث في صفوف المرضى او المسنين او الاطفال الصغار، ولكنها تحدث بين نساء في ريعان الشباب يعتمد عليهن الصغار والكبار معا.

ان عدد الوفيات لوحده لا يعكس الحجم الحقيقي للمأساة، ذلك انه في مقابل كل وفاة، هناك ثلاثون امرأة يعانين من الاصابات والمرض والاعاقات، تظل كلها طي الكتمان بدون علاج، على الرغم من تأثيراتها المبرحة التي تدوم مدى الحياة.

ان هذه المأساة خيم عليها الصمت لمدة طويلة، ولا يتوافر عن حجمها وانتشارها سوى القليل من البحوث. ولكن، استنادا الى بضع دراسات وافتراضات كثيرة، فان افضل نسبة تقديرية للاصابات مقابل الوفيات هي حوالي ٣٠ : ١.

وهذا يعني ان ١٥ مليون امرأة على الاقل تعاني سنويا نتيجة لمضاعفات الحمل والولادة من اضرار لها تأثيرات كبيرة على حياتهن. وحتى لو سلمنا بأن بعض النساء سيعانين من هذه الاضرار والاصابات اكثر من مرة خلال فترة الانجاب، فان المجموع التراكمي لمثل هؤلاء قد يصل الى ٣٠٠ مليون حسب التقديرات المتحفظة، او اكثر من ربع مجموع عدد النساء البالغات في العالم النامي.

لذا، فانه ليس من المبالغة في شيء ان نقول ان قضية وفيات الامهات واعتلالهن، هي من الضخامة والحدة بحيث يمكن اعتبارها القضية الاكثر اهمالا في زماننا الراهن.

علامات واضحة

ان كثيرا من الاصابات التي تلحق بالأم اثناء الحمل والوضع واضحة للعيان بشكل يبعث على القلق.

ويعتبر الناصور اكثر هذه الاصابات وضوحا وازعاجا. ويحدث عندما تموت انسجة قناة الولادة نتيجة لعسر المخاض والضغط المستمر من جمجمة الطفل الذي قد يدوم اياما. وفي الايام والاسابيع التالية للولادة، تسقط هذه الانسجة تاركة ثقوبا. وتصاب المرأة باحتباس البول. وبدون اجراء عملية جراحية للناصور، ستظل المرأة على هذه الحال طيلة حياتها. هذا ولا تتوافر ملابس خاصة لها، لذا يترتب عليه ان تستخدم ما لديها من قطع قماش سرعان ما تتبلل وتتشبع بالسوائل المفرزة. ويؤدي استمرار التسرب الى اهتراء طبقة الجلد الواقعة في منطقة الجهاز التناسلي والى ظهور بثور وطفح جلدي مؤلم ودائم. وهنا تجد المرأة صعوبة عند عملية غسله ويصبح الاستحمام المتكرر شيئا مستحيلا.

وسرعان ما تُستبعد المرأة من فراش زوجها، ثم من البيت، وتضطر الى العيش في مرحاض خارجي او زريبة حيوانات، بحيث لا تستطيع زيارة احد او السفر الى اي مكان الا سيرا على الاقدام. ازاء هذا الوضع، تفضل اعداد غير معروفة من النساء الانتحار على البقاء على هذه الحال.

وتشير افضل التقديرات المتوافرة ان نحو ٨٠,٠٠٠ امرأة تصاب بالناصور سنويا. وان معظم الحالات تظل بدون علاج. وان عددا يتراوح ما بين ٥٠٠,٠٠٠ ومليون امرأة يتعايشن مع هذه المشكلة حتى الان.

فقر الدم (انيميا)

يمكن اخفاء اوضاع اخرى بطريقة اكثر نجاحا، على الاقل في المراحل الاولى.

ان التأثيرات طويلة الامد للنزف الرحمي الذي تعاني منه ١٤ مليون امرأة سنويا هي من بين هذه الاوضاع المخفية. وان نصف هؤلاء النسوة، على ما يبدو، مصاب بفقر الدم. لكن النزف اثناء الولادة او اثناء الولادات المتكررة، قد يدفع المرأة اكثر فأكثر نحو فقر الدم، الامر الذي يؤدي تدريجيا الى تدهور نوعية الحياة لاعداد لا تحصى من النساء، مما يجعل اي مهمة لدرء ذلك جهدا لا يلقى الترحيب، ويحيل كل يوم من الايام الى يوم عمل شاق، بحيث يستنزف جميع طاقات المرأة، حتى طاقتها على التمتع بمباهج الحياة.

اما صدمة النزيف الدموي فتتسبب في الحاق اضرار اشد سوءا من فقر الدم لعدد اقل من النساء.

ان اولئك اللواتي يتعرضن للاصابة بالقصور النخامي او «مرض شيحان» يظنون دائما انهن يعانين فقط من تعب مؤقت. ولكن مع مرور الاشهر، يتحول التعب الى ضعف مزمن مبعثه الخطر الناجم عن ظهور اعراض اخرى، مثل انقطاع الطمث (الدورة الشهرية)، وتساقط شعر العانة وتزايد الاضطراب والنسيان. وبدون معرفة منها لماهية الخلل، تهزل المرأة وهي في ريعان شبابها.. وفي النهاية، تخبو آمالهن ويستسلمن الى اسوأ الاعراض، والمتمثل في اللامبالاة المتزايدة، التي تجعل الشخص المصاب يحجم عن التماس العلاج.

وفي ضوء ندرة المعلومات عن مرض شيحان، يفترض ان تلك الحالة نادرة. ويبدو ان هناك اسبابا واضحة للتعريفات غير [illegible] الغامضة. بيد ان التقديرات الحديثة تشير الى ان آفة شيحان تلحق ١٠٠,٠٠٠ امرأة سنويا، وقد تترك آثارا سلبية على [illegible] مجموعه ثلاثة ملايين امرأة.

اساءة متواصلة

ثمة مشكلة اخرى تقع ضمن دائرة المشكلات غير المبلغ عنها، ألا وهي عُسر الجماع وما يصاحبه من ألم.

فبعد ولادة الطفل، تحتاج المرأة التي تتعرض للخدش والالم الى بعض الوقت للتعافي. ذلك ان كثيرا من النساء، يكن قد عانين من جروح، بما فيها تمزق الفرج. لكن المرأة في كثير من المجتمعات وفي ملايين الحالات الفردية لا تملك اي خيار سوى الاذعان لرغبة زوجها في الجماع بعد الولادة بيومين او ثلاثة، بغض النظر عن الالم الذي يسببه ذلك.

قد يستمر الالم الناجم عن الجماع لفترة تصل الى سنة بعد الولادة، وقد يكون من الحدة بحيث تخاف المرأة من الجماع. وتستطيع قلة من النساء ان تعتمد على التعاطف او الدعم من قبل ازواجهن بينما تتحمل نساء كثيرات نوبات الغضب والرفض والعنف.

ومرة اخرى تتفاقم هذه المشكلة غير المحددة المدى نتيجة الصمت الذي يلازمها ويحيط بها، والحقيقة ان هذه اساءة اخرى تضاف الى جملة الاساءات المستديمة المرتبطة بالطرق المختلفة التي تتبعها المجتمعات المختلفة لجعل المرأة تعاني بسبب دورها في الحمل والانجاب.

(البقية ص١٤)



* فشة خلق *

□ يكتبها: يوسف فرح □

حكومتنا الجديدة وسروالي القديم

□ لا ادري حتى الان لماذا كان اهلنا يصطحبوننا الى محلات الملابس عشية العيد كل ثلاث سنوات او اربع، طالما انه لم يكن لاختيارنا او لمقاسنا ان يقررا.

يا لتلك الايام التي لا تزال ماثلة في اذهاننا، رغم كرّ السنين، ورغم ما كانت تثيره في حلوقنا من غصص. كنا نلمس الرغبة الجامحة، لدى اهلنا في ان يحققوا رغباتنا، وفي نفس الوقت كنا نحس بالعجز الممض، الذي كانوا يحرصون على الا ينعكس على وجوههم، كي لا ينغّص فرحتنا. كانت فعلا «عيونهم بصيرة ولكن اليد قصيرة».

كنا نلج المحلات القليلة في القرية، الواحد بعد الآخر، لكي «نخمّ» الاسعار، حتى اذا ما اهتدينا الى ارخصها، دخلنا في جدل طويل مع البائع، حول الثمن الذي سيقبضه منا. تعجبنا الالوان الزاهية فننقض عليها، لكن اهلنا «يقنعوننا» بغيرها. في النهاية نشتري الملابس التي يحرص الاهل على الا تكون على مقاسنا، بل اكبر بكثير. هل اقول لكم اننا كنا نلحظ ضحكهم المكبوت وهم يحاولون «زمّ» السروال «المبهبط» بايديهم كي يبدو مناسبا!! نأخذ البضاعة ويسجل البائع الثمن دينا..

كان منطق اهلنا ان «الوعاء» - القميص او السروال - ليس لعيد واحد ولا لشخص واحد، بل لاعياد كثيرة «وانت يمّه بتكبر مش بتصغر»، وأظل اكبر وأكبر، حتى يصبح السروال على مقاسي.

هذا من ناحية، ومن ناحية اخرى كانوا يأخذون بالحسبان انكماش السروال مع كل غسلة، لانه حتما «سيشمر» بالفرك والدعك والمياه الساخنة. فاذا ما حل العيد بعد سنوات، صار السروال على المقاس، واذا «شمر» اكثر من اللازم، ورثه احد الاشقاء، وعمد الاهل الى شراء سروال بديل لي، لا يكون على مقاسي ايضا، فلا انا افرح بجديدي، ولا اخي يفرح بما ورثه، وتتكرر الحكاية كل عيد.

فما وجه الشبه بين سروالي القديم والحكومة الجديدة؟

خلال الدعاية الانتخابية ظل الليكود يتهدد ويتوعد، وتشع من حمى عنجهيته وصلفه، صعقات كهربائية تضرب ابن المنطقة الوليد «سلام»، فينتفض، ويشحب لونه، ويكاد يصاب بشلل دماغي، او يموت ميتة السرير المعروفة.

لم تجرؤ اية حكومة في دولة «دمقراطية» كدولتنا على ان تتنكر لاتفاقية وقعتها حكومة سبقتها، وبرعاية دولية، الا حكومتنا!! فما معنى الحديث عن اعادة فتح الملفات من جديد!! وما معنى ان تتحدث عن سلام مع سوريا، وتصر على ان يظل الجولان تحت السيادة الاسرائيلية!!

اذن ما الذي يجعل سوريا تسعى لمثل هذا الاتفاق!! وما معنى «اننا سنعيد النظر في اعادة الانتشار في الخليل!! وما معنى اننا «نعترف بالسلطة الفلسطينية امراً واقعاً، لكننا نستنكف عن التقاء رئيسها!! أليس معنى ذلك ان قوة «الفذعرة» هي التي تُنطق اصحابها، وكأنها تقول للعرب «ايدكم على ظهركم» و «احذروها بالمقلوب»!!

«لاحقْ الذليل تعلمه المراجل» حكمة عربية اصيلة. فقد تستطيع اسرائيل، بالنَفَس الامريكي، تحدي العالم العربي، وقهره مجتمعاً، مرات ومرات، ولكن، ماذا يحدث لو ان هذه القوة العربية الخامدة، تمكنت مرة واحدة من احراز الغلبة!! ألم يحدث في التاريخ القديم ما يجب ان يكون عبرة! فأين مملكتا اسرائيل ويهوذا!!

عشية انعقاد مؤتمر القمة العربية في القاهرة، «بزّ» رئيس دولتنا «موشابا» - عوداً مشتعلاً - تحت قدر السياسة في المنطقة. فبدل ان تدفعه تجربته وحكمته وموقعه، الى مناشدة الجيران ان: «ترووا وادفعوا نحو رعاية «سلام ابن المنطقة»، وانا بدوري سأعمل على تخفيف التوتر العالي»، اذا به يقول على لسان اوري دان في «معريف» (٦/١٣): «ان الدول العربية كلها - كلها هه! - ليس بامكانها ان توقف فريق كرة قدم جدير بحمل اسمه»!

في سنة ٧٣ لم تتحد الدول العربية «كلها»، ومع ذلك تمكنت مصر وسوريا فقط من تسيير «المباراة» حسب رغبتهما الى حد كبير. فما الذي يمنعهما من اللعب مجددا في فريق واحد!!

فاز الليكود وشركاؤه، وسقط «اليسار» غير مأسوف على «لكاعته» وتردده، ولكنه - الليكود - ظل يتاجر بنقد الاستعلاء والغطرسة، الى ان وصل «صاحب المقثاة»!

وصاحب المقثاة هذا هو الذي قدم الارض، ودفع ثمن البذور والاسمدة والمبيدات، وأجرة الحراسة ونصب «الشراشيح»، ولذا فبامكانه ان ينزل العروس عن الفرس. جاء الى اسرائيل برغم المفاجأة واجتمع الى الرئيس الذي لم يستوعب انه صار رئيسا، وأكاد اتصور الضيف يطرح سؤالين على المضيف: متى ستنسحبون من الخليل بحسب الاتفاق الموقع من سلفكم! ومتى ستستأنفون الاتصال مع السلطة الوطنية ورئيسها!

ويعوج الرئيس رقبته يمينا ثم يمينا (لا يعوجها الى اليسار مبدئية)، ويغمغم بكلمات غامضة، يفهم منها كريستوفر، انه سيحمل اليه الاجوبة الى واشنطن! الظاهر ان رئيس حكومتنا أسمع كلاما ناشفا، فاذا بلهجة التصريحات تتبدل، وتهبط «اللا» «الباسلة»، من علياتها، فيؤكد: اذا كان اللقاء مع عرفات يخدم الامن الاسرائيلي فسأفكر في ذلك»

أترون كيف «يشمر»؟!

ان السيدة امريكا، ومهما كانت ملتزمة للصوت اليهودي، ومهما كان «مجد» العجز العربي بارزاً، لا تستطيع التنكر لما وقعت عليه يداها شاهدة وضامنة، ويكفي تاندان عربيان بيخران، ليضطراها على اتخاذ موقف فيه رائحة النزاهة.

السيد نتنياهو «شمر» من اول لقاء، ويقيني انه سيواصل «الشمر»، بقدر ما تواصل الدول العربية نفث حرارتها، واظهار «عين حمراء» للسيدة المنحازة، التي تتولى بدورها غسل حكومتنا، وفركها ودعكها، حتى تنكمش وتعرف حجم مقاسها، وتدخل في سروال على «قدها» بلا زيادة ولا نقصان «والله يرحمك يه»..

***

عن جد حنونة!

السيدة الاولى في اسرائيل زارت يوم الثلاثاء، قرية عربية، لتقدم الشكر الى من سمّوا ابنتهم على اسمها. وربما للتزود كذلك ببعض الاسماء العربية من اجل اطلاقها على اطفال زعماء الليكود فيصير زئيفي مثلا «ابو حسين»!

وهذه الزيارة تزامنت مع حدثين:

الاول: قيام بعض عرب النقب بهدم بيوتهم الخمسين، والا كانت ستقوم بالمهمة الجرافات الحكومية على حسابهم!

الثاني: خروج «تانيا شاو» مربية لطفلي بنيامين نتنياهو وسارة، من بيت اسيادها، مطرودة، ودموعها على عرض وجهها.

□ مرزوق حلبي □

ولا يقترن هذا بذاك!

□ رغم الفصل الدستوري القائم بين السلطات الثلاث في اسرائيل الا انها في حالة صراع دائم تربطها ببعضها علاقات التجاذب والتنافر. اما السبب في هذه الحالة فيكمن في امرين. الاول - حقيقة ان اسرائيل لا تزال دولة بغير دستور وان كانت هناك قوانين اساس. فهذه القوانين لم تتحول بعد، بسبب قصورات واقتصارها على نواح اخرى، الى نسيج دستوري كامل تغطي كامل المساحة السياسية التي تعمل وسطها وعليها السلطات الثلاث. الثاني - لا تزال الدولة حديثة العهد تحاول ان تُنتج نظامها وهي تعدم حتى الان تقاليد دمقراطية راسخة متوارثة ومتجذرة.

وقد اضيف الى ما تقدم حقيقة التغيير الذي حصل في السلطة التشريعية وقانون اساس الانتخاب المباشر لرئيس الحكومة. فتغيير ميزان القوى السياسي داخل السلطة التشريعية يرافقه عادة جملة تشريعات جديدة وجملة تعديلات تشريعية تطال عادة قوانين الاساس. وهذه هي وجهة قوى الائتلاف الحكومي التي شرعت تهاجم السلطة القضائية ممثلة بالمحكمة العليا والنيابة العامة والمستشار القضائي للحكومة. كما ان التغيير الذي حصل في السلطة القضائية قد يؤثر بدوره في العلاقة بين هذه السلطة وبين السلطات الاخرى. ويشار هنا الى ان تعيين القاضي اهرون براك رئيسا للمحكمة العليا خلفا لمئير شمغار. والفارق بينهما لا بد ان ينعكس في الروح القضائية السائدة في اروقة المحاكم لا سيما المحكمة العليا، وحقيقة ايمان القاضي براك بما يسمى «الفاعلية القضائية» (القضاية باخضاع كل قضية للتحكيم بما فيها سياسات الحكومة) يرشحه للمواجهة المتعاقبة مع السلطتين التشريعية والتنفيذية. يُضاف الى هذا كون براك يعتمد التفسيرات الموسعة للقوانين ويستمد رؤاه من احكام ما يسمى بـ «العدل الطبيعي».

ربما كان لمجيء براك الى السلطة القضائية - الى رأسها - من الاكاديميا والتنظير القضائي (شمغار اتى من القضاء العسكري اذ شغل فيما مضى منصب المدعي العسكري) اكبر الاثر على رؤاه وفلسفته القضائية القائمة على ما اصطلح على تسميته «العقل المتنور» وما يعنيه من معايير وقيم انسانية شاملة.

ولا شك في ان الفلسفة القضائية هذه، تقضّ مضجع السلطتين التشريعية والتنفيذية خاصة ان جيلا من رجالات القضاء في الاكاديميا وأجهزة الحكم نشأ على مذهب براك. ومن هنا نستطيع ان نفهم هذا الضيق الذي تحسّ به الحكومة وكتل الائتلاف ازاء كل من النائبة العامة، عدنة اربيل، والمستشار القضائي للحكومة، ميخائيل بن يئير وازاء المحكمة العليا وموقعها.

وفي الواقع فان المستشار القضائي كمؤسسة قضائية ضابطة والنيابة العامة والمحكمة العليا، تشكل مجتمعة وكل على حدة كلب حراسة يكبح جماح السلطتين التنفيذية والتشريعية في تعاطيهما مع الفرد. وهي مجتمعة تشكل عمليا نظاما واحكاما قضائيا يسد الفراغ الذي خلفه غياب دستور كامل ومتكامل للبلاد. والدستور هو عبارة عن خط التوازن العام بين الدولة والمواطن، بين السلطات الثلاث، في زمن معطى. وما دام هذا التوازن غير متوفر فمن الطبيعي ان يحاول الجهاز القضائي بصفته الحارس لسلطة القانون ان يحمي المواطن من دولته، وان يُنتج معايير التوازن.

ونحن، بعد الانتخابات الاخيرة، بصدد محاولة صياغة معاهدة اجتماعية جديدة من خلال سعي كل القوى السياسية الى التأثير على مضمونها. وهناك نية بتغيير ما تم اقراره من تشريعات اساسية (قانون كرامة الانسان وحريته، قانون حرية الاشتغال) ومن قرارات هي سوابق قضائية صدرت عن المحكمة العليا، ولا اعتقد ان الجهاز القضائي سيسمح بهذا التغيير لانه - الجهاز - يسعى الى ترسيخ تقاليد ومفاهيم متنورة قائمة على اساس الفكر الانساني بشموليته. ولا تخفي قوى سياسية كثيرة تخوفها من الموقع الذي تحتله المحكمة العليا في نظام الحكم وهي مستعدة لضرب هذا الموقع من خلال احداث خلل وخرق في التوازن القائم واعادة العجلة الى وراء. وبما ان النيابة العامة برئاسة عدنة اربيل (تسلمت منصبها قبل اشهر قليلة جدا) تشكل سندا للمحكمة العليا (الهيئات ملتزمات بنصوص القوانين القائمة) فانها تصير مستهدفة من السلطتين التشريعية والتنفيذية. وفي الموقع نفسه يقع المستشار القضائي.

ويزيد من حدة الصراع حاليا حقيقة ان عددا من اعضاء الائتلاف الحكومي (اريه درعي، رفائيل بنحاسي، رفائيل ايتان، مدير مكتب نتنياهو، يعقوب نئمان وزير القضاء وغيرهم) يخضعون لتفاعلات ملفات قضائية فُتحت (او ستُفتح) ضدهم. وفي مثل هذه الحالة تسعى السلطة التنفيذية الى تحييد الجهاز القضائي. فهناك حديث عن نية نتنياهو تغيير المستشار القضائي، وهناك حديث عن خطة لتشريع قانون الالتفاف على المحكمة العليا. وهناك طعن بمهنية النيابة العامة وبنقاء دوافعها في تعاطيها مع الملفات المذكورة.

ان اقرار دستور للبلاد يرسم حدودها الجغرافية والسياسية، وينظم العلاقة بين افرادها ودولتهم وبين السلطات الثلاث قد يخلف من غلواء الصراع بين هذه السلطات والجهات. الا ان مثل هذا التطور لا يضع خاتمة للصراع الذي نتوقع ان يستمر في ظروف سياسية كالتي يعيش فيها المجتمع الاسرائيلي، لان هذا المجتمع لم يقرر حتى الان ما اذا كان سيعيش في دولة عصرية او سيبقى مجتمعا كولونياليا يحاول ان يكون متنورا! ولا يمكن اقتران هذا بذاك!

غازي ابو ريا

«اما الدولة العلمانية او الدينية، على العرب ان يقرروا»

اليابان متخلفة! نعم، انا لا امزح. وذلك باعتراف من اليابان نفسها. وحين تكون اليابان متخلفة، لا بد من السؤال. متخلفة وراء من؟ وبماذا! نعم، متخلفة عن الولايات المتحدة، في مجال تطوير الابحاث العلمية. وهذا التخلف مذهل، لان قيمته ١٧٥ مليار دولار. لذا، وضعت اليابان خطة خماسية لاستثمار ٣٥ مليار دولار سنويا، لتلحق بالولايات المتحدة بعد خمس سنوات. او في بداية القرن القادم!! وهذا المبلغ لا علاقة له بالطعام والبنا، والشوارع والتعليم. هذا المبلغ سيضاف الى ميزانية البحث العلمي لتطوير الصناعة والتكنولوجيا والالكترونيكا وكل المصطلحات «الغريبة» عن لغتنا عمليا ونظريا!!

اذا كان هذا هو الوضع في اليابان. فما بالك بكارثة الشرق والغرب. وبأي سنين ضوئية يمكن جسر الهوة بين العرب والولايات المتحدة؟ هل يعني ذلك بان المعركة العلمية حسمت وانتهت الى ابد الابدين.

فلو اخذنا الحاسوب مثلا لوجدنا ان كل اربع – خمس سنوات يولد جيل جديد من الحاسوب الذي يترك سابقه متخلفا لا ينفع الا كقطعة «انتيكا».. ونحن ما زلنا على جهل كامل بصناعة الالة الحاسبة الصغيرة، لا بل غير قادرين على صناعة «بطارية» هذه الالة. او صناعة ما هو ادنى وأدنى؟!

لقد اصبحت الامور واضحة. دخلت الصناعة كل شيء في الحياة. دخلت الصناعة الى الزراعة والتجارة. وتربية المواشي. السودان بغالبيته يعمل في الرعي والزراعة. ولا يجد ما يشبع بطون الشعب. وكذلك عشرات الدول. من موريتانيا الى اثيوبيا ومن ايران الى سوريا ومصر والاردن.

البقرة تحتاج الى ابحاث علمية. وبذرة البطيخ. ونبتة القمح. وما يكون اليوم اكتشافا او اختراعا، يصبح في الغد «من زمان الانتيكا». والى هنا، اقتنع بتأييد القراء. ولا احسب نفسي مجددا في شيء، بل مكرر لحديث نتناقله، كلما شئنا جلد انفسنا، والتعبير عن مركبات النقص. او عن الاسباب التي جعلت العربي وغيره يسخر من نفسه وعروبته.

نحن كأمة عربية، وكشرق او جنوب لا نعاني من نقص في العقول. ولا من نقص في الموارد الطبيعية. وبالامكان لو اردنا، ان نفعل شيئا.. لكن ذلك لا يتم الا بتغيير المقاييس والمعايير التي تشكل اهداف كل مجموعة سكانية.

والعالم في يومنا، تحدد انواع سلوكه وتقدمه قيمتان. هناك الدول العلمانية، والتي جعلت العلم هو المحور والغاية. هو نقطة مركز الدائرة ومحيطها ومساحتها. بمعنى ان العلوم هي الحل، وكل من يذهب الى الاتجاه العلمي يحقق اهداف المجتمع ويرضى عنه هذا المجتمع. لان خط السباق الذي يعدو اليه الفرد هو احد الابواب العلمية. مثل هذه الدول جعلت العلم قيمة عليا.

وهناك الدول الدينية. تلك التي وضعت الدين في المركز. حوله تتوحد، جعلته غايتها. وكل من يتبع التعاليم الدينية او يمارس الفروض، هو في الطريق الصحيح.. لان خط النهاية في السباق هو جنة عدن.

قد تسمي دولة ما نفسها علمانية. لكن شعبها وسياسة الدولة، وبرامجها التعليمية تكون مناسبة للدولة الدينية. لنأخذ مصر وسوريا وتركيا والهند وغيرها. كلها دول تدّعي العلمانية والحقيقة انها دينية والى ابعد الحدود. لكن، لم يحدث حتى اليوم ان دولة سلكت سلوكا دينيا او كانت دينية وتمكنت من المقارعة في مجال العلم. لم يحدث هذا حاضرا ولم يحدث في اي فترة تاريخية سابقة.

ولا اقصد هنا تفضيل قيمة على اخرى، مع ان موقفي الشخصي مع العلمانية. لكن، المقصود هنا وضع الحقائق امام القارئ.

المجتمعات العلمانية تعد الفرد ليكون صالحا في المجتمع. والهدف الانتاج والعمل في اي باب للعلم. ويبلغ الفرد الكمال في ابداعه حيث يعمل او يدرس.

المجتمعات الدينية تعد الفرد حتى يكون صالحا في المجتمع ويبلغ الجنة بعد موته. وهي تود ان ينتج الفرد او يبدع. لكن الاولوية الاولى، والقيمة العليا اجتماعيا وفي نهاية السباق للقضية الدينية.

وكل فئة على قناعة كاملة بانها هي الصادقة. العلمانية، تقدس التطور والتقدم والنهضة الاقتصادية والرفاهية، وتترك الدين لضمير كل فرد، لكنها، ان دخلت في تحد، مع الدين ووجدته عائقا امامها فضلت العلم على حساب الدين في ثورتها الصناعية. اما الدينية، فان الواجب الديني وتعاليم الدين والفروض هي علامات الطريق. والهدف هو الآخرة الحسنة. وتشجيع العلم. لكنها اذا اصطدمت بالعلم ورأت فيه خطرا. فانها تقاومه واذا استطاعت قتله فلن تتردد. والامثلة في التاريخ الديني لكل الاديان لا حصر لها.

لقد آن الاوان. لان يقول المفكرون والكتاب كل الحقيقة للجماهير والقادة، وعلى مساحة الوطن العربي. يجب ان يتخلص الانسان العربي من مركباته نقصه. لذلك، يجب قول الحقيقة كاملة. والاختيار بين الدولة العلمانية او الدينية. ولا يمكن حمل الامرين معا. والتاريخ الاسلامي بالذات يشهد بان الدولة الدينية كانت ايام النبي والخلافة الراشدة. والدولة العلمانية كانت ايام العباسيين حيث لم يتعامل علماء الدين معه الا في فلسفته ومقارعة فلسفات الاديان الاخرى. والازدهار الاسلامي في الاندلس كان علمانيا خالصا.

نعم – يجب ان نختار.. ليقرر العرب انهم اختاروا القيمة الدينية. وعندها، نعلن للعالم. اننا نرضى بحياتنا. ونربي اولادنا على ان هذه الحياة تافهة. وما يسمى بالتقدم لا يعنينا من قريب او بعيد. ونقول ذلك بقناعة وليس من قصور او نقص.

لنقل ذلك صراحة. بان الصاروخ والحاسوب .. وكل انجازات العلم هي بعض الوهم لقوة الانسان.. ولن ينفع الا العبادات التي تؤدي الى جنة عدن. لنقل ذلك صراحة لتهدأ نفوس المؤمنين ومن تجنح نفوسهم دخول بيت المؤمنين.

يجب الغاء مركبات النقص عند امتنا. وهذا المركب عامل تعاسة في نفوسنا اجمعين. لان الحديث عن وجوب الدولة الدينية وامكانية التقدم العلمي بشكل يوازي الدول العلمانية، هذا الحديث يترك الناس جميعا في يأس، وشعور بالنقص. ونقمة.. وحسد.. يجب ان نصارح الناس. ونقول لهم في خطبة الجمعة. وفي الصحف. وعبر خطابات القادة: ايها الناس «نحن دولة دينية. لذلك، لن نكون كغيرنا تطورا وتقدما ماديا، لن نسعى الى رفاهية الفرد وتغذيته بما شاء من الاطعمة.. نحن دولة، تعد مواطنيها للحياة الآخرة».

واذا رغبنا دخول بوابات العلم، لا بد ان نغير كل اللافتات والارشادات على الطريق امام الفرد حتى يصل الى ديار العلم والاختراع والصناعة والتقدم الحضاري.

لذلك، ان كل ما تحتاجه المجتمعات العربية، ان تضع الهدف امامها. وترسم للفرد مسارا ينفعه وينفعها. وكلما كان الهدف واضحا وعلامات الطريق واضحة، قويت احتمالات الفرد في بلوغ الهدف وعندما يبلغ الافراد اهدافهم، يحقق المجتمع مبتغاه.

ولما كانت المجتمعات الدينية تعتبر الاستقامة والصدق والصراحة والامانة. وما شئت من مرادفات اخرى، تعتبرها مقاييس دينية. لذلك اسأل باسم هذه المعايير وعليك ان تختار بين فرد علم بمرض طفل، وراح يصلي لنجاته. وبين فرد هو الجراح الذي شخص المرض واجرى عملية له ثم عاش وكبر كما يعيش الاخرون.

انت ايها الفرد العربي من المحيط الى الخليج.. بيدك مليون دولار. والمطلوب منك ان تقدمها لاحد الرجلين بشرط ان يأخذ هو النصف، ويستثمر الاخر في مجاله.

اقولها بصراحة. ان الدولة الدينية تتناقض كليا مع الدولة العلمانية. لكن، لن اقول ايهما افضل للناس. لانها قضية ضميرية. فقد تجد الرجل الذي يكفر بالعلم وهو على قناعة، وتجد الذي يكفر بالدين وهو على قناعة. لكن، لنعترف بان الدين هو الايمان بقضايا غيبية لا يمكن اثباتها او تطبيقها. وتحتاج الى ايمان مطلق وعقلية لا تسأل، لا تشك.

لكن العلم يحترم كل من يشكك في نسبية اينشتاين. ويقدم الجوائز لكل من يثبت خطأ قاعدة علمية سابقة.

وباختصار، الدين يحارب كل تشكيك في قضايا عمرها آلاف السنين. والعلم يعطي جائزة لمن يميل الى الشك في قضايا قديمة او جديدة. لان العلم هو الشك والنقد والتجديد.

ان العقل لا يمكنه الانطلاق مع قيوده.. وكل بحث لا يبدأ من يقين، بل من الشك. والمجتمع الذي قرر جعل العلم قيمة وهدفا، يجب ان يعلم مسبقا ان اطلاقه حرية الفكر وحرية الشك. هذا المجتمع سيجد قناعات عديدة تهتز، ويجد مسلمات في مهب الريح.. هذا المجتمع يدخل ثورة فكرية لا ترحم تقاليد او عادات او مناهج حياة دارجة.

انطلاقة العقل العربي لا يمكن ردعها. اذا اردنا خوض تجربة العلمانية. لان العقل العربي حين يأخذ اذنا بالتنقيب والبحث والشك من غير خوف. سيهدم احلاما. وينسف سدودا، ويهدم قصورا. انطلاقة العقل العربي، تشكل خطرا على كل من يشعر بالطمأنينة للواقع الموجود.

ان العقل الديني هو ايضا العقل العلماني. لكن العقل الديني، كمقاتل في السجن، يسمع عن الحرب والقتال، ولا يمكنه المشاركة. فيقاتل في سجنه مع خياله. وقد يضرب الجدران والسرير ونفسه. ونفس هذا المقاتل. اطلقت العلمانية سراحه، فخاض الصفوف، وقاتل بقدراته واسهم في جيش شعبه.

فيا امة العرب!

لا تحتاج حكومة نتنياهو مؤتمر قمة، ولا حاجة لبساط احمر امام «السيد» كريستوفر.. لا حاجة لامة العرب بهذه «المخازي». لان الطريق الى تحجيم كل اعداء العرب، لا يبدأ الا من انطلاقة الفكر العربي والعقل العربي. حرروا العقول العربية. اطلقوا سراحها. اتركوها تتجول. وبعد كذا سنوات، سنجد العالم يركع امام علماء العرب. ويتوسل لتوصيل اسلاك الطاقة الى بلاده. من شمس الصحراء العربية. اغلقوا سجون الفكر.. وقدسوا العلم والعلماء. بهكذا علمانية. يستطيع كلينتون ونتنياهو وغيرهما استئذان الجامعة العربية حين يحلق احدهما في سماء ما.

عفيف سالم

عامان على الرحيل «وحالنا حال الدنيا»

عامان مرا منذ رحل الشاعر الفارس. توفيق زياد، عن عالمنا. الا ان الفارس لم يترجل. فما زال بتراثه ومواقفه وحكمته باقيا فيما بيننا. ولعل افضل مثال على صحة هذا القول هو التساؤل الموجود على شفاه المئات: ما هو الموقف، الذي كان بامكان الفارس الشاعر، او الشاعر الفارس، توفيق زياد، ان يطرحه في مثل هذه الظروف الجديدة في اعقاب فوز بنيامين نتنياهو وقوى اليمين في الانتخابات الاخيرة؟! ماذا كان سيقول للسلطة الفلسطينية في وضعها الراهن وفي ظل ممارساتها الراهنة؟! وما الذي كان سيقوله لبعض ادبائنا وشعرائنا وهم يلهثون وراء نشر انتاجاتهم، ومهما كان الثمن، ومهما كان عليه المستوى؟!

عامان مرا، الا ان الفراغ، الذي دعوت الى العمل الجماعي والى التكاتف، وفي كل المجالات الفكرية والسياسية والادبية، لاشغاله، لم يتم اشغاله. فما زالت جماهيرنا، وفي كل هذه المجالات، تتوق الى وقفة الفارس الشاعر، خاصة وان هذه الجماهير فقدت كاتبا ومفكرا آخر قبل اقل من شهرين، هو اميل حبيبي.

عامان، شهران، مرا، ورغم الفروق والتمايزات ما بينهما، وفي الحالتين الشخصية والزمنية، اراني افكر بقضية اخرى كلية مفادها: هل نجح جيلنا نحن، سواء اطلقت عليه صفة الجيل الثاني او الجيل الثالث في استيعاب تجربة الروّاد؟!

هذا السؤال عليه ان يؤرق حتى خيوط الفجر الاولى، التي انبثقت من خلال وحدة القوى اليسارية بين جماهيرنا العربية الفلسطينية في هذه البلاد، والمتمثلة بوحدة «الجبهة والتجمع».. لماذا لم تشعر خيوط الفجر الاولى بالقلق على مصيرها، واذا لم تعمل على تقوية وتجميع قواها، فان الانتكاسة ستكون اصعب وأمر. وعلى خيوط الفجر الاولى ان لا تنسى ان هناك قوى تعمل على احداث مثل هذه الانتكاسة. ثم ان من واجب هذه الخطوط الاولى للفجر ان لا توزع قواها. فهي ما زالت وليدة، وبحاجة الى جماع الفكر والعمل والقوى.

رحل من رحل من قبلنا. وسنرحل نحن، ايضا، حين يحين الحين، وسيرحل اخرون من بعدنا.. فهذه حكمة الحياة المتجددة باجيالها وبمواقفها ومهامها. الا ان ذلك لا يعني نسيان الماضي بما يحوي من تراث جدي وثوري، والانطلاق باتجاه بناء عالم جديد يتنافى في كل شيء مع العالم القديم. فمثل هذه الخطوة، باعتقادي، تعني نفي الذات الآنية الحالية بكل ما تحويه من تاريخ ومواقف. ومن هنا اذكر اني دعوت، ومن على صفحات «الاتحاد» في العاشر من تموز العام ١٩٩٤، الى اقامة «مركز للاهتمام بالتراث الشعبي الفلسطيني في الناصرة، مثلا، يأخذ من «حال الدنيا» نواة له هو الحفاظ على ارتباطنا [illegible] الذين يحلمون ببناء الدولة الوطنية الفلسطينية المستقلة».. واضيف اليوم الى ذلك القول، «ولأولئك الذين [illegible] على بناء مثل هذه الدولة الوطنية الفلسطينية [illegible] ان تمتاز بدمقراطيتها وانسانيتها وحساسيتها المفرطة، في التعامل مع التعددية الفكرية والسياسية القائمة بين ابناء هذا الشعب واحترامها»!

وقد يسأل سائل لماذا «حال الدنيا»، وهي المجموعة التراثية لتوفيق زياد، وليس غيرها؟!

والجواب يقول: «ان مجرد اثبات توفيق زياد لقصة «الصياد وديك الحجل» في مجموعة «حال الدنيا»، يقول الكثير وذلك على الصعيد الطبقي والاممي والقومي والوطني. ذلك الموقف الذي يؤكد حقيقة اساسية تقول ان مصير الخائن معروف، وكذا مصير المحافظ على ائتمانه.

ومثل هذا التراث ومثل هذا الموقف الاخلاقي الانساني والقومي والوطني والاممي، هو القادر على مرافقة الشعوب والامم في مسيرتها. ومن هنا فليكن مركز «حال الدنيا» هو مركز تراثنا الوطني والقومي والاممي والانساني الدمقراطي، الذي يتسع صدره لتراث كل ادبائنا الراحلين!

د. احمد سعد

واقع لا يمكن هدم اركانه والبيانات العنجهية

نود في البداية تهنئة شعبنا العربي الفلسطيني وقيادته الشرعية والرئيس ياسر عرفات بمناسبة مرور سنتين على قيام السلطة الوطنية الفلسطينية على جزء من اراضي السيادة الشرعية الفلسطينية.

تمر هذه المناسبة في ظل منعطف حاد يهدد بوصلة المسار الطبيعي لتطور الاحداث في المنطقة. فوفقا لاتفاقات اوسلو بين حكومة اسرائيل و «م.ت.ف»، التي على قاعدة اطارها للحل المرحلي اقيمت السلطة الوطنية الفلسطينية في «غزة واريحا اولا» كخطوة اولى من المفروض ان تتبعها خطوات متتالية تؤدي في نهاية المطاف الى تنفيذ قرارات الشرعية الدولية – مرجعية الحل – لضمان انهاء الاحتلال الاسرائيلي وتوفير الحرية والسيادة الوطنية للشعب العربي الفلسطيني.

كان من المفروض، بعد مرور السنتين على قيام السلطة الفلسطينية وفقا للاتفاق الموقع من قبل الطرفين، الاسرائيلي والفلسطيني وتحت رعاية الولايات المتحدة وروسيا، ان تبدأ قبل شهرين، في ايار ١٩٩٦، المرحلة النهائية من المفاوضات حول الحل الثابت ويضمنه حل القضايا الاربع المؤجلة: القدس، المستوطنات، اللاجئون وحدود السيادة الفلسطينية على خلفية انهاء الاحتلال من ١٩٦٧ واقامة الدولة الفلسطينية المستقلة وعاصمتها القدس الشرقية.

ولكن الواقع الذي تحاول فرضه حكومة الائتلاف اليميني – الاصولي اليهودي يتناقض مع المفروض ويهدد بنحر كل العملية السياسية في المنطقة، والمخاطر لا تنحصر فقط في عدم التزام حكومة اسرائيل بتنفيذ الاتفاقات المبرمة، التي كان يجب انهاؤها قبل البدء بالتفاوض جول الحل الثابت، مثل الانسحاب من الخليل واطلاق سراح السجناء وغيرهما.

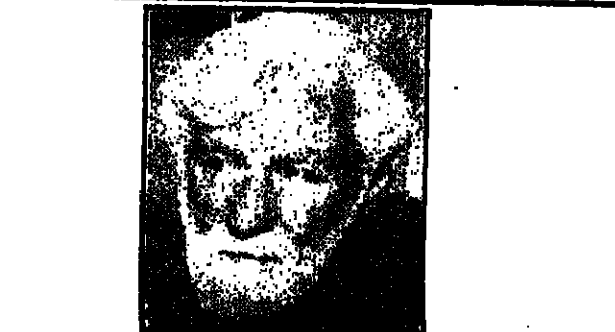
الخطر الجدي يكمن في جوهر وابعاد السياسة «الجديدة» لحكومة اليمين التي تستهدف تجنيز مبادئ اتفاقات اوسلو لضمان دفن الحق الفلسطيني بانهاء الاحتلال الاسرائيلي وقيام الدولة الفلسطينية فحكومة نتنياهو تطرح وتمارس «مبدأ» مغايرا ومناقضا لمبدأ «الارض مقابل السلام» الاساس المركزي لاتفاقات اوسلو، الذي مرجعيته قرارات الشرعية الدولية التي تحتم الانسحاب الاسرائيلي الكامل من الاراضي المحتلة عام ٦٧. فحكومة احزاب «ارض اسرائيل الكبرى» تطرح المبدأ الديماغوغي «الارض مقابل الامن» وتمارسه على الساحة الكولونيالية. فبحجة ضمان الامن تماطل في عملية اعادة الانتشار في الخليل بهدف اقتطاع اجزاء من الخليل لصالح الاستيطان الكولونيالي. وبحجة الامن تعمل على تكثيف الاستيطان الكولونيالي في القدس الشرقية وضواحيها وشق الطرق الالتفافية لتمزيق اوصال الضفة الغربية وفرض سياسة الامر الواقع لضم حوالي ٦٠٪ من اراضي الضفة الغربية، بضمنها المستوطنات والقدس الشرقية وضواحيها، تحت السيادة السياسية والاقليمية الاسرائيلية.

بحجة الامن والديموغرافيا تضع هذه الحكومة شرطا مسبقا لـ «السلام» بالتأكيد على موقفها التنكري لحق عودة اللاجئين الفلسطينيين الى وطنهم. فعمليا، مضمون هذا المبدأ الكولونيالي هو افراغ قضايا الحل الثابت من مضمونها حتى قبل البدء بالتفاوض حول القضايا المفصلية الاربع للحق الفلسطيني المشروع. وتعمل حكومة نتنياهو على تسويق مبدأها الكولونيالي هذا في الولايات المتحدة الامريكية وبمساعدة قوى اليمين واللوبي الصهيوني هناك، وعبر قادة الحزب الجمهوري الامريكي، وتستغل ظروف المنافسة الانتخابية على الرئاسة في امريكا. فغداة زيارة نتنياهو الى واشنطن (في الاسبوع القادم)، بدأت بعض اوساط اليمين الامريكي بالعمل لتسويق المبدأ الكولونيالي «الارض مقابل الامن». فعلى سبيل المثال، صرح وزير الخارجية الامريكية السابق، هنري كيسنجر، («معريف» ٢/٧) بأنه سيعمل على اقناع الرئيس الامريكي، كلينتون وحكومته بتبني مبدأ جديدا لدفع مسيرة العملية السياسية في الشرق الاوسط، مبدأ «الارض مقابل الامن» بدلا من «الارض مقابل السلام». فتحت يافطة «محاربة الارهاب» يعمل كيسنجر وغيره على رفع قميص «الامن» شكليا وتمرير مخططات السيادة الامبريالية العالمية مضمونا، الامر الذي ينسجم مع منطلقات واهداف حكومة اسرائيل لتمرير مخططها التوسعي الكولونيالي في الاراضي الفلسطينية والعربية المحتلة.

ما نود تأكيده ان حكومة نتنياهو تلعب بالنار الحارقة، فلا بهذا المبدأ الكولونيالي ولا بغيره يستطيع ارجاع عجلة التاريخ الى الوراء وهدم اركان الواقع، السلطة الوطنية الفلسطينية على جزء من اراضي الحق الشرعي والتضامن الدولي معها والداعي الى مواصلة المسيرة السياسية للتوصل الى الحل الثابت، الشامل والعادل. لا يمكن لاي مخطط كولونيالي تمريره على الشعب الفلسطيني الذي دفع اغلى التضحيات ومستعد للتضحية، ان يقبل بأقل من دولة فلسطينية مستقلة في حدود ٤ حزيران ١٩٦٧ وعاصمتها القدس الشرقية.

التوجه المغامر لحكومة اليمين يستدعي تصعيد وتوسيع دائرة الكفاح العادل من مختلف قوى السلام والحرية عالميا ومنطقيا واسرائيليا، كما يستدعي رص وحدة الشعب الفلسطيني وقيادته والبلدان العربية في هذه المعركة المصيرية لضمان السيادة الفلسطينية على جميع الاراضي الفلسطينية في اطار دولة مستقلة.

بقلم: اوري افنيري



لم نسمع في وسائل الاعلام، قبل الانتخابات، اي شيء عن شخصية بنيامين نتنياهو. وبقي ماضيه لغزا مغلفا بالغموض. «والصحف المعادية» لم تكشف شيئا، الا انه حالما انتخب، امتلأت الصحف بالتحقيقات الكاشفة، والتي تضمنت تفاصيل التفاصيل عن حياته، وكل تفصيل منها اكثر غرابة وعجبا من الاخر، وهذا الامر يثير فيضا من الاسئلة.

سؤال رقم (١) الى الصحف نفسها: لماذا لم تنشر هذه التحقيقات قبل الانتخابات؟ ولماذا نشرت فقط عندما لم يعد بامكانها تغيير شيء؟

من الواضح ان هذه التحقيقات لم تجر في الايام القليلة التي انقضت بعد الانتخابات. فالاشاعة تقول ان غالبية التفاصيل قد جمعت بأيدي محققي حزب «العمل» وزودت بها الصحف قبل الانتخابات، ولكنها لم تنشر، لماذا؟ فهل صدقت الصحف تحليل الكبار، الذين ادعوا دائما في كل توقعاتهم، وظنوا ان نتنياهو خاسر لا محالة؟ وهل صدقت الصحافة استطلاعات الرأي التي فشلت دائما تقريبا في كل الانتخابات؟ او ان «المافيا اليسارية» هي خرافة؟

ليس ثمة حاجة للسؤال لماذا لم ينشر حزب «العمل» نفسه الامور التي جمعها محققوه، هل كان ذلك شفقة، والواقع ان المقولة الخرقاء لبيرس ورامون كانت، انه محظور الهجوم على نتنياهو، لئلا يقال بأن هذا غير جميل.

سؤال رقم (٢)، الى السيد نتنياهو: هل هو مواطن امريكي؟

لا شك انه كان مواطنا امريكيا لسنوات طويلة، ووالده مواطن امريكي حتى الان. وعندما عين نتنياهو في سنة ١٩٨٢ في وظيفة دبلوماسية في واشنطن، ألزمه امر وزارة الخارجية بالتنازل عن الجنسية الاجنبية، وقد صرح هو انه فعل ذلك.. فأين التصديق؟ واذا ما كان مواطنا امريكيا عندما انتخب للكنيست، فان انتخابه غير قانوني. واذا بقي مواطنا امريكيا عندما انتخب لرئاسة الحكومة فانتخابه ايضا، لاغيا ملغيا.

انا لا اطلب من نتنياهو ان يتطرق الى الاتهامات او ان يرد على متهميه؛ ويكفي ان يأمر سكرتير الحكومة ان ينشر نسخة التصديق من حكومة الولايات المتحدة عن الغاء جنسيته، وهذا الامر لا يمكن التنازل عنه:

سؤال رقم (٣) للسيد نتنياهو: لماذا فرضت سرية على ملفه في الولايات المتحدة؟

لقد كشفت الصحيفة المحلية «كول هعير» رقم الملف الشخصي (Social Security) وحقيقة السرية. وقد لمحت الصحيفة الى ان سرية كهذه متبعة تجاه عملاء الـ «سي.آي.ايه» والـ «اف.بي.آي». وتدعي ايضا، ان شخصا يدعى سليبن، اسم غير يهودي بشكل واضح، له علاقة بالملف. وهنا توجد اشارة ليست كبيرة الدقة، لامور عجيبة (من الصعب عدم تذكر منير كهانا الذي عمل طيلة بضع سنين عميلا لالـ «اف.بي.آي»، واستخدم في حينه اسم «كينغ»).

وهنا يوجد حل ايضا، فليتفضل السيد نتنياهو ويطلب من السلطات الامريكية الغاء السرية وعرض الملف.

سؤال رقم (٤) الى السيد نتنياهو: لماذا غير اسمه في الولايات المتحدة الى اسم «نيتاي»؟

وهنا بالذات يوجد تفسير: ذلك انه من الصعب على الامريكيين لفظ اسم نتنياهو، ولهذا اتخذ لنفسه اسما اقصر، حسن، امر معقول، ولكنه معقول فقط اذا كان ينوي العيش في الولايات المتحدة، اي، الهجرة الدائمة. وهذا قطعا غير معقول اذا كان ينوي البقاء هناك لمدة سنتين – ثلاث.

سؤال رقم (٥) الى السيد نتنياهو: هل تفرض السرية على ملفه في الولايات المتحدة بسبب علاقات وارتباطات بالمخابرات الفيدرالية الامريكية.

واذا كانت حكومة الولايات المتحدة تعرف عن ماضي نتنياهو شيئا غير معروف للجمهور الاسرائيلي، فان ذلك يمكن ان توجد امكانية للابتزاز. ولهذا فالامر هام.

سؤال رقم (٦) الى السيد نتنياهو: هل ينوي نقل املاك الدولة، الى اصحاب الملايين الذين مولوا وصوله الى السلطة؟

فمنذ وصوله الى السلطة، لم يتوقف نتنياهو عن الحديث عن «الخصخصة» وكأنها الحل لكل امراض المجتمع الاسرائيلي. وفي اثناء الفوضى العارمة لاقامة الائتلاف وتركيب الحكومة، كان العمل الضروري الوحيد الذي قام به، ولم يتراجع عنه، هو نقل سلطة الخصخصة الى مكتبه هو. وبمساعدة وزير القضاء الجديد، الذي جُلب من الخارج، وهو محاميه الخاص في قضية الشريط، سيتمكن نتنياهو العمل في هذا المجال على هواه.

منذ ١٥ سنة ونتنياهو محاط بضباب كثيف من الملياردريين واصحاب مئات الملايين من اليهود الامريكيين، الذين صرفوا اموالا طائلة في معارك البرايمريز لنتنياهو للسباعيات، والانتخاب لرئاسة الليكود والانتخابات لرئاسة الحكومة. وبعض هؤلاء له علاقة صريحة اليوم في محاولات شراء مصانع اسرائيلية. فهل من يراقب ذلك؟ وهل من يهتم حتى لا تكون هناك حملة نهب، تدخل الى بعض الجيوب الخاصة، مليارات من املاك الجمهور؟ ومن يضمن ان يدفع ثمن كل مصنع الى خزينة الدولة الثمن الحقيقي؟

عندما يقدمون على «الخصخصة» فان املاكا كبيرة، بدءا من بنك العمال ومصلحة الاذاعة وانتهاء بـ «كيميكاليم ليسرائيل» و «دال عال» التي تساوي عشرات المليارات، فان الجمهور قد يخسر جزءا من هذه المليارات، التي قد تكفي لتغيير من الاساس الوضع في بلدات التطوير، مثلا.

اعترف ان هذه القضية تؤرقني اكثر من كل القضايا الاخرى. واكون مسرورا لو تلقيت جوابا – ليس على شكل كلمات ناعمة، التي لدى السيد نتنياهو منها الكثير، انما بواسطة اقامة ضمانات متينة جدا.

اجوبة المتحدث باسم رئيس الحكومة – شاي بزاك – التي لا اجوبة فيها، في برنامج شيلي يحيموفتش، تساوي الرقاحة. ويبدو ان السيد نتنياهو يريد ان يقلد رؤساء امريكا، ولكنه يتصرف في هذا المجال مثل قيصر روسي.

(«معريف» ٧/١)

د. جابر خوري لـ «الاتحاد»:

في العطلة الصيفية يجب توفير الظروف الملائمة للطلاب لتحاشي الأضرار الصحية

● الأطفال بحاجة للمراقبة طوال الوقت: تغطية رؤوسهم بالقبعات، وتقديم الماء لهم باستمرار حتى ولو لم يطلبوا ذلك ● يفضل استشارة الطبيب للتأكد من قدرة الفتيان على العمل، وعلى المشغل توفير كافة الوسائل الوقائية وساعات محددة للعمل اليومي ● من المفيد التزود بأدوية مسكنة واسعافات اولية قبل السفر الى الخارج ●

● مليون ونصف المليون طالب خرجوا في نهاية الاسبوع الماضي للعطلة الصيفية، قسم منهم سيلتحق بالمخيمات الصيفية والفعاليات الحيوية الأخرى. وقسم آخر سيقضي العطلة في اللعب في الشوارع تحت أشعة الشمس القائظة.

الى جانب ذلك يتوقع ان يغادر البلاد ما يقارب المليون مواطن بهدف الاستجمام. فما الذي علينا جميعا ان نفعله لكي نتمتع حقيقة، بالعطلة السنوية التي ننتظرها بفارغ الصبر؟!

على هذه الاسئلة وغيرها يجيب الطبيب جابر فؤاد خوري.

* «الاتحاد» – ما الذي يجب علينا فعله لقضاء صيف ممتع وبأقل ما يمكن من أضرار صحية؟!

– د. خوري: اولا، أود الاشارة الى أن العطلة الصيفية جاءت بهدف الانتعاش وتجديد الذاكرة والاستراحة الجسدية والنفسية، خاصة للطلاب الذين يسيرون ضمن نظام محدد فترة طويلة. لذا يجب احداث تغيير في تعامل الطالب وحياته اليومية، عن طريق الفعاليات والنشاطات الجسمانية، كالرياضة بكافة انواعها، رحلات، برامج تفكير مع تشغيل الجسم، برامج ترفيهية وغيرها.

ثانيا، أنصح الأهل باجراء فحوصات وقائية لابنائهم مع بداية العطلة او خلالها مثل فحص الأسنان والأظافر والعيون والعمود الفقري والتأكد من ان اولادهم اخذوا كافة التطعيمات اللازمة.

لكن تبقى الأمور الأساسية والمعروفة في فصل الصيف، والحرص على شرب كميات كافية من الماء والسوائل الأخرى المتوفرة في الفواكه والخضار، ارتداء قبعة وعدم التعرض لأشعة الشمس خاصة في ساعات الظهيرة.

* «الاتحاد» – في العطلة الصيفية يخرج بعض الفتية للعمل في القطيف والأعمال الأخرى، فماذا عليهم ان يفعلوا لمنع تعرضهم لضربة شمس او الجفاف في مثل هذا الطقس الحار؟!

– د. خوري: هنا ايضا يفضل استشارة الطبيب، خاصة وان الحديث يجري عن فتية واحداث من جيل ١٤ – ١٦ عاما، للتأكد من قدرة الفتى على العمل عدة ساعات تحت أشعة الشمس. وفي حالة العمل، الذي يجب ان يكون ملائما لجيل الحدث، على المشغل توفير كافة الوسائل الوقائية كالقبعة الواقية، حذاء طويل وكميات غير محدودة من الماء، وساعات محددة للعمل اليومي. فنحن في مثل هذا الفصل تصلنا حالات عديدة يشكو فيها المرضى من دوخان، استفراغ، حرارة عالية وصداع وغالبا ما يكون السبب ضربة شمس او جفاف لعدم تناول كميات كافية من السوائل وبسبب الارهاق الزائد.

* «الاتحاد» – وماذا عن الأطفال والمسنين؟!

– د. خوري: بشكل عام يعرف غالبية المسنين ما الذي يجب عليهم فعله للوقاية من أشعة الشمس، لكن يجب حثهم باستمرار على شرب الماء وعدم تناول الأطعمة المالحة.

والأمر ذاته ينطبق على الأطفال الذي يحتاجون للمراقبة طول الوقت. فهؤلاء يجب تغطية رؤوسهم بالقبعات وتقديم الماء لهم باستمرار حتى ولو لم يطلبوا ذلك. فالانسان بشكل عام تزداد سرعة تنفسه في الصيف وبالتالي يصرف طاقة أكبر، كذلك الأمر بالنسبة للجلد. ولتعويض ما نفقده من سوائل عن طريق التعرق والتنفس نحتاج للسوائل والأملاح ولا ارى ضررا بتناول المثلجات ايضا الى جانب ما ذكرته من السوائل، لكن ضمن الحدود المعقولة.

* «الاتحاد» – من المعروف ان الاصابة بالفطريات تزداد في الصيف. فكيف يمكن التقليل من ذلك؟

– د. خوري: في فصل الصيف علينا مراقبة اظافر الرجلين واليدين بشكل خاص باستمرار. هذا يعني تنشيفها جيدا بعد الحمام او بعد غسلها وعدم السير حفاة في الحمامات العمومية على الشواطئ واماكن الاستجمام. فالفطريات اذا نمت وتطورت قد تسبب الالتهاب للجلد وعلاجها يحتاج وقتا طويلا.

* «الاتحاد» – ماهي التطعيمات التي يجب أخذها قبل السفر خارج البلاد؟

– د. خوري: وزارة السياحة تلزم منذ سنوات بأخذ تطعيمات وأمصال ضد الملاريا والحمى الصفراء لكل مسافر للشرق الأقصى وافريقيا بالأساس. لكن من المفيد الاحتياط بأدوية مسكنة واسعافات أولية قبل السفر والتي يمكن الحصول عليها من صناديق المرضى.

* «الاتحاد» – وماذا عن السباحة؟!

– د. خوري: تعتبر السباحة من أهم انواع الرياضة المفيدة والمنعشة والممتعة للانسان وجسمه. ولعدم تعكير صفو ذلك يجب الامتناع عن تناول الطعام قبل السباحة مباشرة او في اثناء السباحة. كذلك عدم تناول الكحول والتوجه للسباحة، فهذان عملان متناقضان. فعندما تكون المعدة مليئة بالطعام تحتاج جهدا لهضمه وممارسة السباحة بعد ذلك تتطلب مضاعفة الجهد وهذا يرهق المعدة والحجاب الحاجز. وقد نلاحظ حالات دوخان وتقيؤ في اثناء ممارسة السباحة بعد الأكل وهناك من يصاب بالهلع اذا ما اصابه ذلك، وقد يتعرض فعلا لخطر الغرق نتيجة لذلك. ايضا يجب التقيد بالساعات المسموح السباحة بها فمثلا الأشعة فوق البنفسجية تكون في أعلى درجاتها ما بين الساعتين (١٢) ظهرا والثالثة بعد الظهر. ومن غير المسموح السباحة خلالها.

* «الاتحاد» – ماهي انواع الأطعمة التي ننصح بالتزود بهما في اثناء الرحلات؟!

– د. خوري: كل انواع الأطعمة المطبوخة والخضراوات غير المعرضة للتلف والفساد مع حفظها جيدا بالأجهزة المعدة لذلك.

* «الاتحاد» – هناك من ينتظر حلول الصيف للتسفع. كيف يمكن منع أخطاره؟!

– د. خوري: التعرض لأشعة الشمس يتطلب قبل كل شيء، دهن الجسم بالمستحضرات الوقائية المضادة لتلك الأشعة. هذا الأمر ينطبق على الراغبين والراغبات بالتسفع منعا لاحتراق الجلد واضراره. لذا يفضل استشارة الصيدلي حول النوع الملائم لكل بشرة قبل البدء بعملية التسفع وعدم المبالغة في الجلوس تحت أشعة الشمس.

(ابتهاج مجلي)

القلق الدائم.. مسبب للأزمة القلبية القاتلة

● دلت احدى الدراسات على أن القلق الدائم يشكّل أحد الأسباب لحدوث الأزمة القلبية المسببة للوفاة.

استاذ الطب في كلية «هارفارد» الطبية، اشيرو كواشي يقول: «كانت وفيات افراد التجربة الذين يعانون ضغوطا نفسية متواصلة بسبب السكتة القلبية ستة أضعاف الأفراد الذين يتمتعون بحياة طبيعية».

وتؤكد هذه النتيجة ضرورة علاج حالات الضغوط النفسية والتخلص من آثارها السلبية».

بعض النباتات المنزلية تنقي الهواء

● اكتشف العلماء ان بعض النباتات المنزلية تنقي الهواء من عوامل التلوث، حيث تمتص أوراق النبات، الملوثات التي تنتقل الى الجذور. وهناك تقوم بعض الكائنات الحيّة الدقيقة بالتهامها.

ولمساعدة النبات على القيام بهذه المهمة تلحق به مروحة تضاف الى تربة الأصيص مادة الكربون المنشط المعروفة بخاصية الامتصاص.

البرتقال غني بالفيتامينات الصحية للجسم

● أكثر من خمسمائة دراسة أجريت للبحث عن فوائد عصير البرتقال. وقد اختصت حوالي مئة دراسة منها بفيتامين «C» (سي) لوحده، الموجود بكميات عالية في البرتقال.

وكانت محصلة تلك الدراسات ان الفيتامينات والمواد الغذائية الأخرى الموجودة في البرتقال ضرورية للحفاظ على صحة الانسان. وقد اكتشف الباحثون ارتفاع نسبة المواد الغذائية في الفواكه والخضراوات الطازجة، حيث تقل فيها نسبة الدهون ترتفع نسبة فيتاميني "A" و"C" ونسبة الألياف. اما فيتامين (B) الموجود ايضا في عصير البرتقال فانه يساعد على انتاج خلايا دم حمراء جديدة ويقلل من خطورة التعرض للمضاعفات في اثناء فترة الولادة.

مستحضر اسرائيلي جديد للتخلص من رائحة الفم

● رائحة الفم المنفرة، هي احدى الظواهر المزعجة [illegible] لم يكف عن البحث لايجاد حلول بديلة لمحتاجيها. وليس [illegible] مستحضرات مختلفة في الأسواق اعدت من أجل التخلص من رائحة الفم الكريهة التي تكمن وراءها اسباب [illegible] المثال لا الحصر، في دولة مثل امريكا فتحت حوالي [illegible] وحدة طبية يشرف عليها اطباء اسنان ومختصو حلق لتقديم المساعدة لطالبيها في هذا الموضوع.

ومؤخرا.. نشرت المجلة الطبية «جورنال أوف بريديودنطولوجي» لطب الحنك ان اسرائيل نجحت في تطوير مستحضر جديد للتخلص من رائحة الفم تم تسجيله كاختراع عالمي بعد ان أثبت فعاليته.

الوقاية أفضل سبيل لعدم اصابة العين بالمياه البيضاء

● يُعد التدخين أحد العوامل الرئيسية المسببة لاصابة العين بالمياه البيضاء، الى جانب التعرض للأشعة فوق البنفسجية في ضوء الشمس او الصادرة عن أجهزة تلوين البشرة. لذا فعند الخروج في الأيام المشمسة الساطعة يجب الحرص على وقاية البشرة، عن طريق ارتداء ملابس ذات أكمام طويلة واستخدام غطاء عريض للرأس. ولحماية الوجه يفضل استخدام النظارات الطبية الواقية من أشعة الشمس. فبالوقاية يمكن تأخير اصابة العين بالمياه البيضاء.

مؤتمر نساء حوض [illegible] الأبيض [illegible] مشكلة النساء اللاجئات [illegible]

* خاصة العاملات الفلبينيات اللواتي يعانين الاستغلال الفاحش خارج دولتهن *
المؤتمرات يوقعن على عريضة تطالب باطلاق سراح السجينات الفلسطينيات *
المطالبة بتحسين اوضاع المواطنين العرب في اسرائيل *

* بقلم: عايدة توما – سليمان *

● عقد في مدينة ليماسول القبرصية في الاسبوع الماضي، مؤتمر اتحاد نساء حوض البحر الأبيض المتوسط الخامس، تحت عنوان: «المهاجرون واللاجئون في منطقة البحر الأبيض المتوسط». شاركت فيه نساء من (١٣) دولة وعشرات التنظيمات النسائية المختلفة، بينها (٣) تنظيمات نسائية من اسرائيل، من بينها حركة النساء الدمقراطيات التي كانت اول تنظيم نسائي انضم الى اتحاد نساء البحر الابيض المتوسط.

وقد عكس المؤتمر معاناة النساء اجتماعيا واقتصاديا وسياسيا، خصوصا النساء اللاجئات والمهاجرات والجرائم التي ارتكبت ضدهن ومشاكلهن بشكل عام. وبرزت في المؤتمر مأساة العاملات، خصوصا من الفلبين، اللواتي يعملن خارج دولتهن ويعانين الاستغلال الفاحش.

وأكدت المؤتمرات على ان هناك دورا للتنظيمات النسائية في التعاون ومساعدة هؤلاء النساء، حيث تمت دعوة التنظيمات للعمل على اقامة برامج اقتصادية لمساعدتهن على الخروج من الأزمة التي يعانين منها.

وشارك وزير العدل القبرصي في جلسة المؤتمر الافتتاحية واشار في كلمته الى الأهمية البالغة في التحالف والتضامن بين دول منطقة البحر الأبيض المتوسط مؤكدا ان النساء اللواتي اقمن مثل هذا الاتحاد ضربن مثالا يجب ان يحتذى.

وقدمت الوفود والنساء المشاركات مداخلات عديدة غنية خلال ايام المؤتمر، اذ جرى تقسيم مستوى النقاش حول موضوع اللاجئين والمهاجرين الى مستويين. الأول تقديم مداخلات من النساء حول الاوضاع في بلادهن والثاني المشاركة في ورشات عمل لفحص امكانيات التأثير وتغيير الوضع القائم.

ولقد افردت جلسات خاصة لبحث اوضاع كل من الدول التالية: قبرص، يوغوسلافيا، فلسطين واسرائيل. وتميز وفد حركة النساء الدمقراطيات بحضوره البارز وقدمت مندوباته ثلاث مداخلات، الأولى قدمتها كاتبة هذه السطور حول المهجرين واللاجئين في الوطن شارحة قضية القرى غير المعترف بها وأقرت وبرعم. وقدمت السيدة فتحية عوايسي عن جمعية تراث صفورية شهادة حية حول صفورية ومعاناة اهلها المتجسدة بحرمانهم من ارضهم وبيوتهم ومنعهم من زيارة مقبرة القرية، مستعينة بالمعرض الذي زين جدران القاعة وفيه شرح واسع عن معالم القرية وصور قديمة.

وتركت مداخلات النساء من يوغسلافيا أثرا بالغا في نفوس الحضور لما فيها من معاناة للنساء والاطفال من جميع اطراف النزاع كما واثار التقدير النشاطات والاعمال التي تقوم بها التنظيمات النسائية هناك.

من ناحية اخرى كانت ورشات العمل التي تضمنها المؤتمر غنية بالابحاث والاقتراحات حيث تقسمت المشاركات الى ورشات عمل حول «التغيرات الاجتماعية لدى اللاجئين والمهاجرين»، «الاستمرارية الثقافية والحضارية» «الاوضاع الاقتصادية لحل ازمة اللاجئين والمهاجرين». ومن خلال ورشات العمل اطلعت النساء على التجارب الموجودة لدى البلاد الاخرى كما وخرجن بمجموعة توصيات سيتضمنها كتاب المؤتمر.

ومن خلال رؤية واضحة لتأثير الاوضاع السياسية على حياة النساء والاطفال جرى اقرار مجموعة قرارات سياسية على ان ترسل هذه القرارات الى الحكومات للضغط عليها ومن ضمنها: التوجه لحكومة اسرائيل للإعتراف بالقرى غير المعترف بها وتزويدها بالميزانيات وتحسين الاوضاع السكنية والصحية وغير ذلك. كذلك التوجه للحكومة للانسحاب الكامل من المناطق العربية والفلسطينية المحتلة والاستمرار بعملية السلام.

ووقعت المشاركات على عريضة خاصة يطالبن فيها باطلاق سراح السجينات الفلسطينيات. وارسلن رسالة يستنكرن فيها اعتقال مفوض حقوق الانسان في الضفة الغربية وقطاع غزة د. اياد السراج.

وخصص اليوم الأخير في المؤتمر، لبحث الأمور التنظيمية وكيفية استمرار العمل المستقبلي لاتحاد نساء البحر الأبيض المتوسط.

ولوحظ هذا العام ازدياد عدد المشاركات بشكل كبير، مما يؤكد ضرورة هذا الاتحاد لنساء المنطقة وقابليته على استيعاب الجميع.

* عايدة توما – سليمان *

لدى كرستيان ديور

دانتيل اسود والوان زاهية

☐ اعداد: مصمم الأزياء غصوب سرحان ☐

● جيان فرانكو سيري مصمم الازياء الطلياني الشهير والمصمم الرئيسي في دار كرستيان ديور يعتبر اليوم، الأكثر اصالة بين المصممين البارزين وخصوصا في مجال الهوت كوتور، وتمتاز موديلاته باناقتها المتناهية من حيث الأقمشة والخطوط والألوان الى درجة ان البعض يعتقد ان موديلاته تلامس الكمال.

في الصورة نرى أحد موديلات سيري وهو وعبارة عن طقم سواريه بلون الزهر الفاتح وبلوزة من الدانتيل الاسود الموشى بورود ملائمة.

ماكياجك واختيار كريم الأساس (Fond de Teint)

* بقلم: اخصائية التجميل هالة جدعون *

● ان استعمال الماكياج يساعد على ابراز معالم الجمال في الوجه ويخفي ما هو غير جميل. وقد لا ابالغ ان قلت ان البراعة في استعمال المساحيق تجعل الوجه يبدو اصغر من السن الحقيقي.

واول ما ينبغي لك تحاشيه هو الماكياج الصارخ، اي عدم الاكثار من الأحمر، والأبيض، والبنفسجي، بل حاولي ان يكون ماكياجك اقرب الى الطبيعة.

والهدف ان تبرزي جمالك الحقيقي لا أن تصطنعي لك جمالا بألوان فاقعة منفرة.

اختيار كريم الأساس (Fond de Teint).

يجب ان يكون ملائما للون البشرة. ومن الخطأ ان تتهافت السمراوات على انتقاء كريم زاهي اللون ظنا منهن انه يخفي سمرتهن. فالكريم الأبيض زاهي اللون يفضح عيوب السمراء (اذا كانت فيها عيوب) ويظهرها واضحة للعيون.

ولرى ان اختيار لون الكريم مسألة على أكبر جانب من الأهمية بالنسبة لكل امرأة. وأقل خطأ يرتكب في اختياره يجعل عملية تجميل الوجه خاطئة من اساسها ويساعد على ابراز العيوب بدلا من ان يخفيها.

هناك قواعد عامة جمالية لا يجوز تخطيها، فالألوان الوردية الفاتحة تتناسب مع البشرة البيضاء الفاتحة فتزيدها جمالا، كما تتناسب مع البشرة الشاحبة الخمرية لتكسبها دفئا مشعا. والوان البيج الطبيعية تفيد في اخفاء البقع الملونة. اما الألوان العسلية فهي تكسب الجلد منظر البرونز المحروق تحت اشعة الشمس.

وحذار من المبالغة في تجاوز لون بشرتك. لأن لون العنق يفضح اللون المزيف لبشرة الوجه ويجب ان يكون هناك انسجام وتناسب. وبصورة عامة فالوان الجلد تدخل تحت اصناف ثلاثة: لون فاتح، لون معتدل (اي اسمر مائل الى الوردي)، ولون قاتم او اسمر شديد السمرة.

واختيار كريمات الأساس يتم بحسب انواع البشرة.

البشرة الطبيعية العادية يناسبها كل انواع الأساسات تقريبا. اما للبشرة الجافة التي تنقصها الرطوبة والزيوت فيفضل استعمال اساس ذي قوام دهني (Cream Based Fandation) والبشرة الدهنية يناسبها الأساس السائل غير الدهني (Oil Free) والأهم من هذا ان تختاري كريم الأساس مع واق من أشعة الشمس.

بسكوت «الموالح»

☐☐ المقادير:

* كأسان من الدقيق الأبيض.
* ملعقة صغيرة من الحليب مذوبة في نصف كأس من الماء.
* ملعقة صغيرة من الملح.
* ملعقة صغيرة من الباكينغ باودر.
* ثلاثة ارباع كأس من الزبدة.
* بيضة.
* صفار بيضة.
* نصف كأس من السمسم.

☐☐ التحضير:

– يخلط الدقيق مع الملح والحليب المذوب بالماء والباكينغ باودر خلطا جيدا.

يفرك خليط الدقيق بالزبدة والبيضة بأطراف الأصابع حتى يتحول الى عجينة ملساء متماسكة. تترك هذه العجينة حتى ترتاح مدة نصف ساعة.

– تعطى قطع العجينة اشكالا تشبه العصي او النجوم او الأقراص بحسب الرغبة. تدهن بصفار البيض بريشة. تُنثر على سطحها حبات السمسم ويمكن استبدال السمسم بتوابل مثل الفليفلة الحلوة او اليانسون او الكمون، تبعا للنكهة المبتغاة.

– ترتب الموالح في صينية مدهونة بالزبدة. تدخل الصينية الى فرن متوسط الحرارة مدة تراوح بين ثلث ساعة ونصف ساعة حتى تحمرّ. تترك حتى تبرد وتقدّم مع الشاي او الشراب. يمكن حفظها في علب معدنية او زجاجية.

[illegible] الف امرأة تموت سنويا بسبب مضاعفات الحمل والولادة

(تتمـــة من ص٨)

وتعاني الطفلة من عملية الختان الهادفة الى الحد من النشاط الجنسي لديها والمحافظة على واهليتها للزواج» واثناء فترة الحيض، ربما يجري عزلها بحجة انها غير نظيفة، وجعلها تشعر بالخجل نتيجة لذلك. وكفتاة مراهقة، ربما تتزوج من شخص لا تعرفه وتحمل قبل ان ينضج جسمها. وكامرأة حامل، ربما تحرم المرأة من الحاجات الاساسية، بما في ذلك الراحة والغذاء والرعاية الطبية اثناء الحمل. واثناء المخاض، ربما تعرضت لخطر الوفاة نتيجة لنقص الرعاية الطبية اثناء الولادة، او نتيجة لاصاباتها بجروح او اعاقات لم تتم معالجتها. وكامرأة تعاني من عسر المخاض، ربما يتم تركها لوحدها يعتصرها الالم الشديد وتعاني سكرات الموت، ويختنق طفلها داخل رحمها، خاصة في المجتمعات التي تفسر عسر المخاض بأنه علامة على عدم الاخلاص وعدم الثقة. وكامرأة تعاني من جرح اثناء عملية الوضع او من شريان ما زال مفتوحا او من تصدع الرحم، فقد تموت لان زوجها لا يسمح لها بأن تراجع الطبيب. وكأم لطفلة قد تتعرض للوم والتأنيب والضرب لوضعها بنتا على الرغم من ان الكروموسوم الذكري هو المسؤول عن جنس المولود. وكزوجة، قد تضطر للرضوخ لرغبة زوجها في ممارسة الجنس معها خلال ايام من ولادتها، والا تعرضت للعنف.

وكأم جديدة، قد يتوقع منها ان تحمل من جديد قبل ان تتعافى من الولادة السابقة.

ماذا يمكن عمله؟

الخطوة الاولى والاهم في السعي نحو تخفيض عدد وفيات الامهات ومعدلات اصابتهن بالمرض هي توفير خدمات تنظيم الاسرة عالية الجودة لجميع من يحتاج اليها. وبفضل المعرفة المتاحة اليوم، يمكن القيام بهذه المهمة بطرق مقبولة لجميع البلدان على اختلاف ثقافاتها.

ان مجرد تلبية الطلب الحالي على خدمات تنظيم الاسرة سيسهم في تقليل عدد الاحمال في البلدان النامية بنسبة تصل الى الخمس، الامر الذي يؤدي الى تخفيض مماثل في وفيات الامهات واصابتهن.

واذا ما اضفنا الى هذا الفوائد المثيرة الاخرى لتنظيم الاسرة، بما فيها تخفيض عدد حالات الاجهاض، وتحسين صحة النساء والاطفال وتغذيتهم، والتقدم الاسرع باتجاه تحقيق المساواة بين الجنسين، وإبطاء النمو السكاني وتخفيف الضغوط على البيئة، فان التكاليف تبعث على السخرية. ومع ذلك فان خدمات تنظيم الاسرة تحصل على اقل من ٢٪ من جميع النفقات الحكومية في العالم النامي، واقل من ٢٪ من جميع المساعدات الدولية.

وعلاوة على تفادي الاحمال غير المرغوب فيها، فان هناك تحديا يتمثل في تخفيض وفيات الامهات واصاباتهن في الغالبية العظمى من حالات الحمل المرغوب فيها.

بيد ان البعض يلجأ الى القول ان هذه الفكرة يجب ان تنتظر النمو الاقتصادي، وبأن وفيات الامهات ستنخفض فقط حينما تتمتع النساء بصحة افضل وتغذية افضل وتتلقى تعليما افضل.

لكن خبرات الشعوب تقدم دعما ضئيلا لمثل هذه المجاملة التي تبعث على ارضاء الذات.

ففي بريطانيا، على سبيل المثال، لم يكن هناك انخفاض في معدلات وفيات الامهات خلال القرن السابق لعام ١٩٣٠ حينما بدأت المستويات الصحية والغذائية تتحسن بسرعة. ولم تبدأ وفيات الامهات في الانخفاض بشكل حاد حتى وصلت الى المستويات المتدنية التي نشهدها الان، الا بعد تدريب القابلات بشكل مناسب والتأكيد على نظافة وسلامة الولادات والادوات المستخدمة فيها، وتوفير الرعاية الطبية الحديثة للتعامل مع عسر المخاض والنزيف الدموي والالتهاب والاضطرابات الناجمة عن ارتفاع ضغط الدم. وعلى نطاق اصغر، تأكدت هذه النتائج اثر دراسة اجريت على طائفة من الناس في الولايات المتحدة الامريكية يتمتع افرادها بثراء نسبي وبتغذية وتعليم جيدين، لكنهم لا يتقبلون خدمات الرعاية الطبية الحديثة. وقد كشفت الدراسة ان معدل وفيات الامهات كان اعلى بنسبة ١٠٠ مرة تقريبا عن المعدل السائد في الولايات المتحدة، وحوالي نفس المعدل السائد في الريف الهندي.

في ظل هذا وغيره من الدلائل على ان الرعاية الطبية اثناء الحمل والولادة هي الحل الاساسي لهذه المشكلة، يجادل الكثيرون قائلين ان تكاليف خدمات الرعاية الطبية اثناء الولادة عالية جدا بالنسبة للبلدان النامية. لذا، فقد تم توجيه الجهود والموارد للبحث عن استراتيجيات اقل كلفة، وهو بحث غالبا ما قاد الى الاتجاه نحو رعاية الحوامل وتدريب القابلات التقليديات وفحص النساء الحوامل لتشخيص حالات الخطورة العالية.

ولكن، على الرغم من ذلك كله، لا بد من التأكيد بأن القابلات التقليديات لا يستطعن التنبؤ بالمضاعفات الخطرة ولا يعرفن كيف يتعاملن معها. وحتى لو كن قادرات على الكشف عن تلك المضاعفات، فان ذلك لن يكون له اي جدوى اذا كانت الرعاية الطبية النسوية غائبة.

وبعد سنوات من الامال والبدايات، بدا واضحا ان الطريقة الوحيدة لاحداث هذه التخفيضات في وفيات الامهات واصاباتهن هي التعرف المبكر على ١٥٪ من الأحمال التي تتطلب رعاية طبية ولادية وضمان توافر هذه الخدمة حين الحاجة اليها.

بيد ان هناك حاجة للتأكيد على ان تخصيص الموارد اللازمة لما يمكن تسميته بالرعاية الصحية غير المكلفة وتدريب القابلات التقليديات سوف لا يحدث بمفرده سوى اثر قليل اذا لم تتوافر الرعاية الطبية الحديثة لمن يحتاجون اليها.

تحسين نوعية

الخدمات

هل يمكن توفير كلفة الرعاية الطبية الولادية؟ أم هل ستظل هذه الرعاية رهينة التنمية الاقتصادية طويلة الامد التي يمكن توفيرها لكل من يحتاج اليها؟

بداية، ينبغي القول ان جميع البلدان النامية لا تبدأ من الصفر. وحتى في اكبر البلدان وافقرها هناك وحدات صحية ومستشفيات اقاليم مزودة بالاطباء والقابلات والممرضات والادوية والمعدات التي تستطيع تقديم هذا النوع من الرعاية الطبية حين الحاجة اليها. فان كانت لا تستطيع ذلك، فان هذا يعني في العادة عدم إعطاء هذه الرعاية الاولوية التي تستحقها او عدم توافر مبالغ صغيرة ضرورية للتدريب الاساسي وتوفير المعدات، ولا يعني استحالة تنفيذ هذه المهمة.

وهناك الالوف من المستشفيات في العالم النامي، التي تستطيع توفير رعاية نسوية طارئة ملائمة، اذا ما تم احداث تحسينات بسيطة عليها. وحتى المستشفيات التي يفترض وجود غرف عمليات للرعاية الطارئة فيها، فان كثيرا من هذه الغرف لا يمكن استعمالها بسبب نقص الصيانة اللازمة لاجهزة التخدير والانارة الكافية التي لا تزيد كلفتها عن ١٠٠ دولار. وان كثيرا من هذه المستشفيات ايضا يتوافر فيها جراحون مؤهلون اكفاء لاجراء العمليات القيصرية التي قد تكون ضرورية في ٥٪ من جميع حالات الولادة لانقاذ حياة الامهات والاطفال. وفي الكثير من المستشفيات ايضا لا تتوفر للاطباء والجراحين المعدات اللازمة للتعامل مع الحالات الطارئة، والتي لا تزيد كلفتها عن بضع مئات من الدولارات. وفي غيرها من المستشفيات يعمل الاطباء في الموقع لمدة ست ساعات فقط، ولا يقدمون اي خدمات ليلية او طارئة بعد تلك الساعات الست.

ولا تتوافر سوى ارقام قليلة عن الرعاية النسوية اثناء الولادة. لكن التقديرات المعروفة عن الهند مثلا، تشير الى ان ثلاثة ارباع النساء البالغ عددهن ١٥٠,٠٠٠ امرأة، يمتن سنويا اثناء الولادة، علما بأنهن يسكن في مناطق لا تبعد سوى اميال قليلة عن المراكز الصحية او مستشفيات الاقاليم. وهناك وقت كاف لنقل المرأة الى مثل هذه المراكز اذا ما تم التعرف على علامات الخطر في الوقت المناسب.

الاولوية

ان مهمة تحسين الصحة في البلدان النامية هي الى حد كبير مهمة وقائية وترويجية لاخراج الرعاية الصحية من اطار العيادات والمستشفيات الى المجتمعات المحلية، عبر توفير طرق غير مكلفة نسبيا ووسائل للوقاية من الامراض ومعالجتها. لكن مهمة تخفيض وفيات الامهات واصاباتهن ذات طبيعة مختلفة، ذلك انه لا بد من اتاحة الفرصة لكل امرأة حامل لزيارة الوحدة الصحية او المستشفى عندما تحدث معها اية مضاعفات. وان تعريف جميع العائلات بضرورة التماس المساعدة الطبية حين الحاجة اليها هو التزام اساسي لا بد من القيام به. كما ان توفير رعاية طبية نسوية حديثة هو امر في غاية الاهمية. وان بناء الجسر بين الاثنين، لسد الفجوة التي قد تكون اجتماعية بقدر ما هي مالية او جسدية، يتطلب موقفا مختلفا ازاء كثير من القائمين على تقديم الخدمات الصحية، بيد ان الكلفة المالية الكلية لا تشكل سوى جزء بسيط من مبلغ المليارات الخمسة والثمانين الذي تنفقه حكومات الدول النامية الان على الخدمات الصحية، او من مبلغ المليارات الخمسة من المساعدات الدولية السنوية المخصصة لهذه الخدمات.

لذا فان تخفيض وفيات الامهات واصاباتهن ليس مسألة امكانيات، بل هو مسألة اولويات.

لكن هناك بعدا لا تستطيع الاحصائيات ان تعكسه، وهو الالم والخوف وتقويض الثقة واحترام الذات، او الجروح المبرحة والاذلال والقلق التي تلازم كثيرا من النساء. واذا ما ظل العالم يصم اذنيه عن سماع صيحات الكثيرات من النساء اللواتي يعانين من الحزن والالم الذي يندرج تحت اسم «مرض الامهات» فانه بلا شك سيكون ضالعا في المسؤولية عن الفشل الذريع في وضع حد لهذه الوفيات والآلام في وقت يشارف القرن العشرون على نهايته.

لقد تم التعرف على الاستراتيجيات العملية، وسيكون بالامكان توفير الموارد المالية اذا ما حددت الاولويات. لذلك، فان ثمة حاجة الى مطالبة كبيرة ومسموعة للقيام بعمل يهدف الى تحسيس الضمير الانساني بهذه القضية وحثه على المطالبة بوضعها على جدول الاعمال السياسي. وان المهمة الاولى تتمثل في كسر قالب الصمت. ونادرا ما يوجد دبلوماسي او اخصائي صحي او باحث او صحفي او منظمة غير حكومية او مجموعة نسوية او مواطن، لا يستطيع القيام بدور في هذا التحرك. وتستطيع نقابات اطباء الولادة والنقابات النسائية الموجودة في كل البلدان ان تقول وان تفعل الكثير حيال هذه القضية. هذه الاصوات جميعها ضرورية للضغط باتجاه زيادة المخصصات من الميزانيات الحكومية على الصحة، وبرامج المساعدة الدولية، للاجراءات المتخذة لمجابهة هذه المأساة.

مليونا فتاة تتعرض للختان، سنويا

● تتذكر ملايين النساء اللواتي تعرضن في صغرهن لعملية الختان، المعاناة المتكررة لدى كل ولادة.

وما زالت تتعرض مليونا فتاة كل سنة للختان. وتحتل كل من مصر واثيوبيا وكينيا ونيجيريا والصومال والسودان ٧٥٪ من جميع الحالات. وفي الصومال لوحدها تبلغ النسبة ٩٨٪ من مجموع الفتيات فيها، وفي مصر ٨٠٪، وفي شمال السودان ٨٩٪.

علاوة على الخوف والالم اللذين يصاحبان عملية الختان، فان آثارها قد تشتمل على نزيف لمدة طويلة، والتهاب وعقم، وقد تؤدي الى الوفاة. اما اولئك اللاتي يتعرضن لعملية «التزنير» (وهي اسوأ انواع الختان، حيث تقطع الاعضاء الجنسية الخارجية) فان المعاناة الجسدية والنفسية الناجمة عن عملية القطع تتكرر مع كل ولادة.

ومما يجدر ذكره ان عملية الختان ليس منصوصا عليها في اي ديانة سماوية، لكن مرتكبيها يستهدفون منها «كبح جماح النشاطات الجنسية» لدى المرأة. وتتعرض للختان، عادة، الفتيات من عمر ٤ - ١٢ سنة، مما يشكل احد اسوأ الانتهاكات الصارخة لاتفاقية حقوق الطفل.

وفي الاونة الاخيرة بدأت عدة حكومات افريقية بالتحرك لوقف هذه الممارسة البشعة، بيد ان غانا هي البلد الوحيد الذي ترجم السياسة الى قانون. اما حكومة بوركينا فاسو، والتي سارت بفاعلية ونشاط ضد ختان المرأة منذ عام ١٩٩٠، فقد صعدت عملها خلال السنوات الثلاث الاخيرة نتيجة لازدياد الدعم الوطني. وقد رفعت قضايا حقوقية متعلقة بوفاة الفتيات نتيجة لتعرضهن للختان، الى المحاكم للنظر فيها وفقا للقانون الجنائي المعمول به.

وقد شهدت التسعينات ضغوطا متزايدة ضد هذه الممارسة من المجموعات النسائية ومنظمات حقوق الانسان والمجموعات المعنية برفاه الاطفال والمنظمات المهنية.

كما قامت بعض البلدان الصناعية باتخاذ الاجراءات اللازمة في اوساط اللاجئين الافارقة او المهجرين.

وفي عام ١٩٩٤، انضمت استراليا والنرويج الى كل من السويد وبريطانيا في اقرار قوانين خاصة ضد الختان. وفي كانون الاول ١٩٩٥، كانت اللوائح والقوانين التي تعتبر الختان جريمة قد وضعت امام مجلس النواب الامريكي والبرلمان الكندي.

تقسيم وفيات الامهات حسب المناطق في العالم

● التقديرات الجديدة تشير الى ان مجموع وفيات الامهات بسبب مضاعفات الحمل والولادة هو حوالي (٥٨٥) الفا سنويا، مقسمة حسب المناطق كالتالي:

المنطقة	الوفيات سنويا
اوروبا	٣
اسيا الوسطى	١٤
الامريكيتان	٢٣
الشرق الاوسط وشمال افريقيا	٣٥
بلدان افريقيا الصحراوية	٢١٩
اسيا والمحيط الهادي	٢٩١
المجموع	٥٨٥

الاضراب كان ناجحا لكن الحكومة مصرة على الخصخصة وعلى العمال ان لا يسكتوا!

(تتمة من ص٣)

المستوى.

هذا في مجال تقليص ميزانية الحكومة، اما الطرف الاخر لهذه السياسة الحكومية الاقتصادية فيتعلق بعملية الخصخصة، وبيع ممتلكات القطاع العام وكبرى الشركات في الدولة لاصحاب الرأسمال، وهذه العملية تعني نقل الملكية لعائلات وافراد عدة بامكانهم السيطرة على الاقتصاد والمشاريع الاقتصادية والتحكم بالاسعار، وفصل العمال من اماكن عملهم بحجة «النجاعة في العمل»، والهدف الحقيقي هو زيادة الارباح لا غير، وفي هذا المجال علينا التأكيد بأن جوهر النقاش هو ايدولوجي، ما بين فكر الاقتصاد العام القائم على اسس التعاون المشترك، وتحويل الارباح للجميع بواسطة الدولة، وما بين الفكر القائم على الرأسمال، و «الاقتصاد الحر» لاصحاب الرساميل لا غير. واينما تم تنفيذ مثل هذه الخطة في دول العالم، كانت ارهاصات خطيرة جدا، والعواقب وخيمة، ومن يدفع ثمن ذلك هو الشعب والفئات المسحوقة.

ولالقاء الاضواء على اهداف هذه الخطة، لا بد من ذكر حقائق ما سيتم عرضه للبيع في المزاد العلني من مرافق اقتصادية في اسرائيل، وما سينتج عن ذلك من تأثير سلبي على الاقتصاد وعلى جمهور العاملين والمواطنين.

● شركة الكهرباء العامة اولا ●

تنوي حكومة نتنياهو عرض كبرى الشركات والمرافق الاقتصادية التي تملكها الحكومة للبيع، ويعمل في هذه الشركات مئات الاف العمال الذين تمكنوا من احقاق انجازات نقابية، وشروط عمل معقولة، من خلال نضالهم المتواصل اولا وعملهم الدائم في هذه الشركات.

وتقترح الحكومة خصخصة هذه الشركات اي بيعها للقطاع الخاص ولكبار المستثمرين من اصحاب الرساميل في اسرائيل والعالم. واولى هذه الشركات ستكون شركة الكهرباء، التي يعمل فيها اكثر من عشرة الاف عامل بشكل مباشر، والاف عدة بشكل غير مباشر في قطاع الكهرباء، المرتبط بتزويد الشركة بالمواد الخام والقطع وغيرها. وادعاء الحكومة واصحاب فكر الخصخصة، يقول انه «يجب توفير المنافسة بين عدة شركات تزود المواطنين بالكهرباء». هذا المانشيت العريض الذي يطلعون به علينا، ويضيفون بأن المنافسة ستؤدي الى تخفيض اسعار الكهرباء، ويقولون ايضا، المنافسة ستؤدي الى توفير خدمات ناجعة. هذا كلام جميل جدا، لكن الحقيقة والتجربة ايضا تؤكدان لنا ان اصحاب الرأسمال يلطشون عيونهم، ويسيل لعابهم على ما سيجنونه من ارباح من مثل هذه الصفقة، بالسيطرة على اراض واسعة، والحصول على دعم مالي وقروض حكومية لجني الارباح، وتكون هذه القروض بفوائد رمزية، وخلال فترة قصيرة تجدهم قد وفروا اموالا طائلة من مثل هذه الصفقات.

اما عن تخفيض الاسعار فذلك الامر يبقى حلما لدينا نحن المواطنين ولماذا؟ ألسنا نتحدث عن «الاقتصاد الحر»، وعدم التدخل في المنافسة وقضية العرض والطلب و «ليبرالية الاقتصاد»، واذا قرر صاحب/اصحاب هذه الشركة وبالاتفاق غير المكتوب مع اصحاب الشركات الاخرى المحافظة على مستوى للاسعار، فأين ربحنا نحن المواطنين؟ نعم سيبقى حلما لا غير.

● وبيزك ايضا ●

شركة الاتصالات الهاتفية «بيزك» مرشحة ايضا للعرض بالمزاد العلني، ونحن نسأل ايضا من سيكون الرابع من هذه الصفقات؟ ولدينا اليوم مثال حي «للمنافسة الحرة»، في شركات التلفونات المتنقلة، الفارق في الاسعار هو فارق شكلي في كثير من الاحيان، وقد نجد ان تخفيض سعر هذا الجهاز او ذاك من هذه الشركة او تلك، مرتبط بجودة الاتصال، وقد نجد تلاعبا في طريقة الدفع والحوسبة لكن النتيجة تكون ان ما ندفعه يكاد يكون متشابها.

وهكذا سيؤدي بيع مثل هذه الشركة «بيزك» الى سيطرة المستثمرين من القطاع الخاص على مساحات اراض واسعة وعلى مبان وعلى خطوط الهواتف الارضية والعلوية، واللاسلكية، وستكون الملكية ليس بالضرورة اسرائيلية خالصة، بل مشتركة لاصحاب «كارتيلات» الاتصال من العالم، والارباح تذهب الى حساباتهم الشخصية في الخارج والبلاد ايضا، وتباع قطع الاراضي لسلب اموال الجمهور، ولشركات ورقية يجري تشكيلها خصيصا من اجل ادارة الاملاك، ونقل الاموال بشكل شرعي من هذا الجيب الى ذاك، ولا رقابة لاحد على هذه الممارسات «القانونية جدا».

● وشركة «ال - عال» للطيران ●

يعتبر المجتمع الاسرائيلي هذه الشركة الرمز للوطنية، وانها من افخر واهم شركات الطيران في العالم، خاصة في مجال الامن وتأمين المواطنين، ويجري الحديث ايضا عن بيع هذه الشركة الى اصحاب رأسمال من البلاد والخارج، لكن هناك معضلة خطيرة، وهي اشتراط الحكومة على كل مستثمر يريد شراء هذه الشركة بالمحافظة على الجهاز الامني العامل فيها وعدم التفريط به، وهذا يعني تحمل تكاليف عالية جدا من قبل كل شخص يريد شراء هذه الشركة، وطبعا يتهرب اصحاب الرساميل من الخضوع لمثل هذه الشروط، ويقومون بطرح شروط مقابلة، وهي تخفيض سعر الشركة بشكل يجعل مصداقية اقتصادية لشرائها من قبل من يريد الشراء، وهذا الشرط يعني بيع طائرات ومعدات واجهزة بأسعار تصل الى اقل من نصف قيمتها الحقيقية.

● مصافي البترول ●

حول هذا المرفق الاقتصادي يدور نقاش شديد ان كانت هناك مصداقية لبيعه لجهات خاصة، لان فيه طابعا امنيا صرفا، ومنه يجري تزويد معدات وآليات امنية مختلفة، لكن اصحاب رأس المال يريدون مثل هذا المرفق الاقتصادي الهام ويضغطون من اجل بيعه لهم.

● الصناعات العسكرية - ومصانع الطيران ●

وهنا ايضا يدور نقاش، لكن الاتجاه يسير بأن هناك ضرورة لادخال مستثمرين كشركاء في هذه الصناعات. ووفقا لاخر المعلومات الصادرة عن الحكومة الجديدة، فالهدف هو عرض هذه الشركات للبيع للمستثمرين وعدم الخضوع لاي ضغوط، مع المحافظة على الاقسام العسكرية السرية.

● شركتا الباصات «ايغد» و «دان» ●

وفي هاتين الشركتين ايضا واللتين تعتبران من «الجمعيات التعاونية»، يدور نقاش، فلقد سيطرت مجموعة من الاشخاص على الشركتين، (الاعضاء)، ويحاولون اليوم خصخصتهما، لهم ولشركاء من خارج الشركة، وضرب حقوق العاملين، ونقل تحديد اسعار المواصلات العامة لايديهم بشكل حر وبدون اي رقابة، وهناك الاف الاجيرين في هذه الشركات من عمال وسائقين لا يعرفون ما هو مصيرهم في مثل هذه الحالة.

● القطارات والسفن ●

ستعرض الحكومة للبيع، في برنامجها للخصخصة، مصلحة القطارات والسكك الحديدية وكذلك شركات النقل البحري، ونقل ملكيتها لجهات خاصة، ويكون تحديد الاسعار من قبل اصحابها الجدد بدون اية رقابة، وستكون مصلحتهم الاقتصادية قائمة على اساس الربح والخسارة، لا غير، وستتعرض مصالح العاملين للاستغلال، وسيجري فصل الكثير منهم ولا ضمان لاحد بأن تقدم خدمات افضل مما تقدم اليوم.

وهناك شركات اخرى تنتظر عرضها للبيع في المزاد العلني: اغركسكو للتصدير الزراعي، مكرورت، شركة تأمين المخاطر للتجارة الخارجية، شركة «الاتوماتسيا»، شركة «مغدال شالوم مئير»، شركة مراكز الثقافة لمستخدمي الدولة، صندوق تيساريا، معهد المواصفات، عميدار، المستشفيات الحكومية، سلطة المطافئ، قسم الترخيص، مصلحة الاستخدام، صناعة الادوية، سلطة الموانئ والمطارات، سلطة البريد... وغيرها!

● شركة «باز» للوقود كمثال لعدم تخفيض الاسعار والاستغلال ●

ليس سرا ان شركة «باز» للوقود الحكومية قد تم بيعها للرأسمالي جاك ليبرمان وهو من استراليا، حيث قام بشراء ٧٥٪ من اسهم الشركة من الحكومة بمبلغ (٩٥) مليون دولار، وقام بشراء الـ ٢٥٪ الاخرى من الاسهم من مستثمر اجنبي اخر وبذلك تمت له السيطرة على هذه الشركة، مخازنها، سيارات النقل، محطاتها، مكاتبها وكل ما كانت تملكه.

ومن اين احضر هذه الملايين من الدولارات هل من الخارج يا ترى؟ طبعا لا.. بل حصل على قرض من الحكومة بواسطة بنك «ليئومي»، وهكذا لم تدخل عملة صعبة للبلاد، وبدأ بسد القرض من ارباح الشركة.

والاسوأ من ذلك ان ليبرمان حصل على (٦٠) مليون دولار كانت «مخفية» بين بنود ميزانية الشركة، وكانت في صندوق خاص، وهكذا يكون قد اشترى الشركة بـ (٣٥) مليون دولار، والامر لم ينته عند هذا الحد، فقام مع شركات الوقود الاخرى برفع شكوى على الحكومة بأنها قد «استغلتهم»، وحصلوا على مبلغ (١٦٠) مليون دولار، منها (٦٠) مليون دولار لـ «باز»، وقام صاحبها ببيع ممتلكات مختلفة، واتضح انه جنى ربحا، بمبلغ (١٥٠) مليون دولار قام بتحويلها الى الخارج لحساباته خلال فترة قصيرة، وقام بخطوات اخرى عادت عليه بأرباح اخرى.

واليوم الوضع هو كالتالي: بعد ست سنوات من شرائه هذه الشركة يقدر رأسمالها بمبلغ (٥٠٠) مليون دولار (اشترى الشركة بمبلغ (١٤٨) مليون دولار)، وكما ذكرنا قام بجني ارباح بمبلغ اخر ونقدا يصل الى حوالي (٢٠٠) مليون دولار، ومن الذي ربح في هذه الحالة يا ترى؟ هل العمال؟ هل الحكومة؟ لا طبعا.. بل فرد واحد، وقام بفصل العمال والغى اتفاقيات العمل، ويعمل اليوم لديه عمال باتفاقيات عمل خاصة وبدون اية شروط. وعلينا ان نذكر ان اسعار الوقود لدى جميع الشركات موحدة.

● النتيجة هي بطالة واستغلال ●

المثال اعلاه يؤكد حقيقة واقعة ان من يدفع الثمن هم العمال: البطالة، الفصل من اماكن العمل، الغاء اتفاقيات العمل، ورفع الاسعار. لهذا علينا معارضة هذه السياسة والخروج للنضال ضدها وبشدة وبلا هوادة. وان تقوم الهستدروت بدور حاسم في قيادة هذه النضالات لافشال سياسة حكومة نتنياهو المعروف عنه بأنه قد رضع حليب هذا الفكر الرأسمالي من دولته «الام» الولايات المتحدة.

☐ تمعن في كتاب "كاريكاتير سياسي" ☐

الفنان خليل ابو عرفة (غسان) يرسم ذاته الفلسطينية!

■ صدر، مؤخرا، لرسام الكاريكاتير، خليل ابو عرفة، كتاب بعنوان «كاريكاتير سياسي»، يحوي مجموعة كاريكاتيرات نشرت في الصحف المحلية والفلسطينية، والكتاب تحت رعاية المسرح الوطني الفلسطيني وبدعم مؤسسة «نوراد» النرويجية.

☐ سيرة ☐

خليل ابراهيم ابو عرفة من مواليد القدس عام (١٩٥٧)، مهندس معماري، وحاصل على شهادة الماجستير في الهندسة المعمارية من جامعة كييف عام (١٩٨٣)، يعمل مدرسا غير متفرغ في دائرة الهندسة المعمارية في جامعة بير زيت، يرسم الكاريكاتير السياسي يوميا في جريدة القدس منذ ايار (١٩٩٤) ويرسم الكاريكاتير لجريدة «الاتحاد» و «جيروزالم تايمز» الاسبوعية باللغة الانجليزية.

بدأ خليل ابو عرفة بممارسة رسم الكاريكاتير منذ العام (١٩٨٤)، ونشر رسوماته في معظم الصحف المحلية الفلسطينية وداخل الخط الأخضر، وكان ينشر رسوماته ما بين السنوات ١٩٨٥ و ١٩٩١ بالاسم المستعار «غسان».

وخليل عضو رابطة الفنانين التشكيليين وشارك في عدد من معارضها، وعضو مشارك في مؤسسة الكتاب ورسامي الكاريكاتير الامريكية (CWS)، التي توزع انتاجه على نطاق عالمي، وقد شارك في معرضين عالميين للكاريكاتير في بالتيمور، الولايات المتحدة ١٩٩٥ واوسلو ١٩٩٦.

خليل ايضا كاتب قصص للأطفال وصدرت له مجموعة «شارع صلاح الدين» ١٩٩٦، وله مجموعة مقالات في النقدين الفني والتشكيلي.

ويذكر ان ابو عرفة تعرض للاعتقال ثلاث مرات في سجون الاحتلال الاسرائيلي بسبب نشاطاته السياسية، وهو متزوج وله بنت وولدان.

☐ ابو عرفة داخل رسوماته ☐

بمجرد تصفح الكتاب بسرعة وبدون التوقف عند رسمة واخرى تعرف ان لهذا الرسام خطوطا تميزه وحده، ولو انك رأيت له رسمة في مكان ما بدون توقيعه لاستطعت ان تتعرف عليها بسرعة، وهذا التميز يحسب له، رغم انك لو تمعنت جيدا في الرسومات لوجدت التأثر ببعض الرسامين المعروفين، وهذا التأثر لدى ابو عرفة لا يعني التقليد او نسخ ما كان، فالمتتبع لرسومات ابو عرفة منذ ان كان «غسان» يعرف انه بدأ بالتخلص من هذا التأثير تدريجيا مع كل رسمة اضافية، لكن تميز خطوطه بدأ منذ البداية واخذت تتطور حتى اليوم، وهذه الخطوط، حسب اعتقادي، مأخوذة من شكله الشخصي، فمن يرى وجه ابو عرفة او الرسمة التي خطها لوجهه للحظ مدى التشابه بين اشكال ابطال كاريكاتيراته وبين شكل وجهه.. وشكل ابو عرفة هو الشكل التقليدي للفلسطيني الذي يعيش في المناطق التي احتلت عام ١٩٦٧ والذي يشبه كثيرا المواطنين العرب في الدول العربية، ايضا، وربما كان ابو عرفة متعمدا ادخال هذا الشكل الجديد في رسوماته والذي لم نره حتى في رسومات ناجي العلي، وانا لا اقصد المقارنة بين الاثنين ولكني اريد التشديد على تميز ابو عرفة.

وابو عرفة يجبرك على مشاهدة الحياة العادية للفلسطيني من خلال الاحداث السياسية، ولا ينقطع عن الغوص في الذات الفلسطينية الا ليأخذ انفاسه ويعود للغوص ثانية، وبهذا يكون ابو عرفة قد اخذ على عاتقه الانضمام الى المبدعين العالميين الذين يزداد انتشارهم عالميا كلما ازداد تعمقهم في المحلية.

☐ خير الرسم ما قل كلامه ☐

المتتبع لمدارس رسم الكاريكاتير يجد ان اكثر الرسامين استعمالا للكلام في الكاريكاتير هم العرب وبالذات الرسامون المصريون، وقد قال عنهم الرسام السوري «فرزات» اننا نستطيع ان نضع يدنا على الرسمة ونقرأ التعليق المكتوب ونضحك، وبهذا يصبح الرسم الكاريكاتيري مجرد رسم توضيحي للكلام المكتوب بجانبه، اي مثل الرسومات التي توضع بجانب الكلام في قصص الأطفال، وفي هذه الحالة يفقد الرسم الكاريكاتيري قيمته.

ولو فتحنا اية صفحة في كتاب ابو عرفة فاننا سنرى حتما الكلام يطل علينا من الكاريكاتير وعلى الفور سنبدأ بقراءته وربطه مع المرسوم بجانبه، ويا ويلنا اذا لم نتذكر الحادث الذي تسبب في الرسم، واذا قرأناه بعد (١٠٠) عام ولم نعش تلك الاحداث، فعندها لن نفهم معظم الكاريكاتيرات.

انا اعتقد ان القادر على اللعب في الكلمات وفي نفس الوقت هو رسام قدير، يستطيع ان يعبر في الرسم كما في الكلام، والكلام في الكاريكاتير يأتي دائما على حساب الرسمة ويضعفها مما يجعلك تعتقد انك امام رسام غير متمكن من ادواته، وهذا لا ينطبق على ابو عرفة، اذ ان كاريكاتيراته في قمة الذكاء، وسرعة البديهة، لكن الظاهر ان الرسم بشكل يومي يجعل الوقوع في الخطأ امرا سهلا.

☐ روح النكتة ☐

الكاريكاتير بشكل عام يحسب على الفنون الساخرة، وهذا لا يعني ان الكاريكاتير حتما مضحك، فهناك السخرية السوداء، وقد شاهدنا العديد من اعمال ناجي العلي المبكية.

قرأت مرة في مجلة «صباح الخير» المصرية عن رسام كاريكاتير لم يكن الا منفذا لأفكار شخص آخر، اي ان واضع المشهد الكاريكاتيري لا يجيد الرسم ولكنه يملك روح النكتة وسخريته لاذعة، وفي الصحافة العبرية هناك كاريكاتير يومي يخرج الينا بتوقيع شخصين، وهذه الطريقة اصبحت معروفة في الكاريكاتير السياسي الذي ينشر في الصحف.

وعندما كنت ادقق في رسومات ابو عرفة الواحد تلو الآخر، كنت ارفع صوتي بين الحين والآخر، واقول: وهذا الكاريكاتير ذكي جدا».. واحيانا اقول: وهذا غير ناجح» او اتساءل «ماذا يقصد بهذا!».. وكل ما قلته يدل على شيء واحد، هو انه انسان عادي له كرأته وقرأته، لكنه يتميز عن العادي بانه يرسم ببراعة.. وبراعة رسام الكاريكاتير لا تكتمل الا بروح النكتة، والنكتة لا يتعلمونها في اي معهد، بل هي مكتسبة، ولا تخلق مع الانسان حسب اعتقادي، وابو عرفة احيانا يتحلى بنكتة جيدة واحيانا لا تسعفه النكتة.

☐ الرسم للتأريخ ☐

اذا تصفحنا الكتاب مرة اخرى نجد ان الرسومات تواكب الاحداث وهذا امر طبيعي لرسام في جريدة يومية، ولكن ليس من الضرورة ان ترسم عن الحدث اذا لم يأتك الالهام في نفس لحظة الحدث، والا سوف تصبح رسمتك لمجرد التأريخ، وعندما نرجع اليها بعد فترة بعيدة عن الحدث، نجد امامنا رسمة تذكرنا بالحدث فقط، وكأنك تنظر الى اجندة بدون اية مدلولات او ابعاد.. وهذا ما رأيناه لدى ابو عرفة في بعض الرسومات التي كان بالامكان الاستغناء عنها وعدم نشرها في الصحيفة ومن ثم اعادة نشرها في الكتاب.

(ابو النفير)

بيير واكني

مطرب الشوارع الحزين في يافا

■ عمره (٩٠) عاما ولا يغني الا لعبد الوهاب وام كلثوم وسيد درويش ■

واكني: هاجرت الى اسرائيل منذ (٤٠) عاما واحلم بالعودة لوطني في المغرب! ■

● تقرير: حسين عبد الواحد ●
(مراسل «اخبار النجوم» القاهرية)

● اثناء تجوالي في ازقة مدينة يافا بعد عناء يوم عمل شاق مع الزميل المصور عادل حسني لمتابعة الانتخابات الاسرائيلية تسللت الى اسماعنا المشتاقة لأي شيء يذكرنا بالوطن نغمات خافتة نعرفها جيدا.. مثيرة للشجن.. مشحونة بعبق الجذور.

لم يستغرق منا الأمر سوى برهة قصيرة او لمحة خاطفة عبرنا خلالها كل مسافات الغربة ثم بدأنا نتابع النغمات الحبيبة.. نعم انها لحن محمد عبد الوهاب الرائع لأغنية.. عندما يأتي المساء..

جذبنا سحر هذه النغمات الجميلة فسرنا وراءها كالمشدوهين نبحث عن مصدرها.

وفي النهاية، وصلنا الى ركن منعزل بأحد المقاهي لنجد عجوزا في التسعين من عمره يحتضن عوده الشرقي الأصيل ويداعب اوتاره وهو غائب تقريبا عن العالم المحيط به.. وكانت هناك قطرات من الدمع تترقرق في عينيه الصغيرتين المرهقتين..

اقتربنا من الفنان العجوز، ملابسه لا تختلف كثيرا عن اليهود والاسرائيليين كبار السن الذين يتسكعون في الحدائق والمقاهي.. ولكن كان هناك اختلاف في نظرات عينيه المليئة بالحنين لماضي ذهب ولن يعود..

اسمه بيير واكني.. عمره تسعون عاما، يهودي مغربي هاجر لاسرائيل منذ اربعين عاما وبالتحديد في عام ١٩٥٦، ورغم كل هذه السنوات ما زال يتحدث كلمات عربية مختلطة بالفرنسية والعبرية.

قال بيير واكني «كنت موسيقيا في التخت الملكي المغربي وانا من محاسيب مولانا الملك محمد الخامس وخليفته مولانا الملك الحسن».

وتدفق فيضان من الذكريات الجميلة من ذاكرة الفنان العجوز.. الرباط.. والدار البيضاء.. والموشحات الاندلسية.. وسيد درويش وام كلثوم ومحمد عبد الوهاب وفريد الأطرش.. واخذت الاصابع التي امتلأت بالعروق تداعب اوتار العود.. زوروني كل سنة مرة.. اراك عصي الدمع.. الاطلال.. الجندول يا وابور. قولي رايح على فين.. الربيع واول همسة. ومن اغنيات عبد الحليم حافظ اهواك وتوبة وصافيني مرة..

كان بيير واكني يعزف على العود بينما روحه تحلق بعيدا.. ولم يتوقف فيضان الدموع من عينيه.. حتى عندما تحدث معنا كانت كلماته حزينة ومثيرة للشجن. «لقد هجرني اولادي تماما واندمجوا في المجتمع الاسرائيلي اما انا فسوف أظل احلم بالعودة ليس لأرض الميعاد بل لوطني الحقيقي في المغرب ولكني اشعر ان هذا الحلم لن يتحقق.. وسوف اموت هناك بعيدا عن كل شيء احببته في حياتي».

وعندما عجزت لغته العربية المحدودة عن التعبير عن مشاعره، امتدت يده الى العود واخذ يعزف ويغني بصوت مشروخ ولكنه عذب وجميل به كل عذوبة وجمال الصدق والوفاء.. غنى بيير واكني.. خايف اقول اللي في قلبي.. لعبد الوهاب ولسة فاكر لأم كلثوم ثم اختتم وصلته القصيرة الرائعة بهتاف غريب علينا نحن المصريين.. «الله يديم علينا الملك» والله يحفظ سيدنا الملك» وهو هتاف مغربي رفض واكني العجوز أن ينساه.

وسألت الفنان العجوز.. ما الفرق بين هؤلاء المطربين الشرقيين الذين ما زلت تعشقهم.. قال: عبد الوهاب هو الطبيعة.. فريد الأطرش يفرح الناس وهو مطرب شريف لا يغني كلمات هابطة، ام كلثوم موهبة ربانية لا تتكرر.. حنجرة سحرية عظيمة تستطيع ان تؤدي صوت الرياح والأمطار والرعد والبرق.. وأيضا شقشقة العصافير وخرير مياه الغدير.

* هل تتابع تطور الأغنيات العربية والشرقية؟

- لا.. لا أسمع اي شيء من الموسيقى والأغاني التي يصفونها بأنها حديثة.. فقط اركوني مع محمد عبد الوهاب وام كلثوم وسيد درويش وفريد الأطرش.. ولا اعزف او اغني اي شيء سوى مطربي هذا الجيل العظيم الذي ابدا لن يموت..

يقولون عني في اسرائيل «مطرب الشوارع الباكي» وانا لا ابكي حزنا.. بل تجاوبا مع الالحان الرائعة التي لن تتكرر.



* بيير واكني *

* سؤال أخير يا عم بيير واكني.. هل تريد ان تحمل اي رسالة منك الى بلادنا؟

- نعم.. بالله عليكم قولوا للملك الحسن ان «ميير» وهو اسمي المغربي يسلم عليك، قولوا له (مير) الذي كان يعزف لك الموسيقى وانت شاب صغير ما زال يحبك ويخلص لك..

***

التف زواد المقهى حولنا.. وامسك بيير واكني بالعود مرة اخرى واخذ يعزف عليه تلك النغمات الشرقية الساحرة.. كلموني تاني عنك.. فكروني.. صحوا نار الشوق في قلبي وفي عيوني.

وانهمرت الدموع!!

● بقلم: د. ادوار الياس ●

غمزات!

* يحكي الحكيم ما رأى، اما الاحمق فيكرر ما سمع.
* المصنوعات اليدوية تكشف عن شخص صانعها.
* سرقة علبة اللبن نوع من السرقة.
* من حرم الارانب من القوة والشجاعة وهبها المقدرة على الهرب السريع.
* مهما كانت الحقيقة قوية فانها لا تستطيع تحطيم الرقم القياسي في الكذب.
* حينما يطبخ البخيل مرقة يكثر ماءها ويدعو الجيران.
* في الانتخابات على رئاسة جمهورية الحمق، فاز الاهوج.

من اقوال الشعوب!

* يقول الصينيون:
- لكل قدح فاره.
* وتقول العرب:
- لكل مغارة عفريت.
* يقول البولونيون:
- يرقص في عرسين.
* وتقول العرب:
- يلعب على الحبلين.
* يقول المكسيكيون:
- لو شنهق الكلب ونبح الحمار.
* وتقول العرب:
- لو هبطت السماء على الارض.
* يقول الروس:
- من يخف الصقيع يشحذ العلبة.
* وتقول العرب:
- قلة المروة تسود الوجه.
* يقول اليابانيون:
- عواء الذئبة يستنفر جراءها.
* وتقول العرب:
- رائحة الام تلم.

[illegible]

* بينما كنت «اعرّب» الاوراق المكدسة على رفوف مكتبي، للتخلص مما هو غير ضروري وغبرته، واعادة توضيب ما هو ضروري مع فائدته، رن الهاتف وانطلق صوت فواز النشاز معلنا، بثقة واعتزاز:

- بعد ان رفض ناجي النجار الرفضي السماح لي باستعمال بيليفونه، لانه كان مشغولا بمغاوشة زوجته الرشيقة ولبقة العيوقة التي اكثرت من رش الملح على الشكشوكة، لجأت الى مقززة بويز القزاز، وبالامارة فان زوجته معزوزة المشوقة كانت مبوزة وتنشق مخطتها وتشتم: يلعن هيك بزرة، لان طفلها معزوز لم يستطب حليب البزازة.

وازاء هذا الوضع المعقد الحساس، وليسمح لي باستعمال تليفونه، وافقت على شرط القزاز وعقدنا اتفاقية فوقها عنوان:

[illegible]

وشرع «ابو معزوز» القزاز بقص ومطابقة ألواح الزجاج مع البراويز. واخذت بتلميعها بالقطنة وزيت الـ «لك» اللميع.

وبعد ان قززنا ولمعنا حوالي مئة برواز خطر على بالي ان اسأله وسألته:

- لماذا كل هذا؟

فطبطب على كتفي وقال:

- طلبيات لخريجي الثانويات، عقبال ما تبروز شهادتك ويندرج اسمك في الجريدة، ويقرأه الاقارب القراب والبعاد، ويركض الكبار قبل الاولاد للمباركة واكل الحلوانة.

فضحكت وقلت:

- شرطك من حلويات شبكة معجنات فخري الفران «ابو عدنان» التي فشرت ان تضاهيها، شكلا ونكهة، الكنافة النابلسية والعوامة الدمشقية.

وعلى ذكر «ابو عدنان» تذكرت انه استدعاني، هذاك اليوم، مع شقيقي في الرضاعة بديع عبد السميع وحليفنا لوقت الحاجة «ابو فجلة» ابن راعي العجال، وطقعنا محاضرة لا منهجية، اذا ما فادت لا تضر في الحياة العملية، وتمحورت حول الوسيلة اليابانية في تطوير وادارة الاعمال ويسمونها:

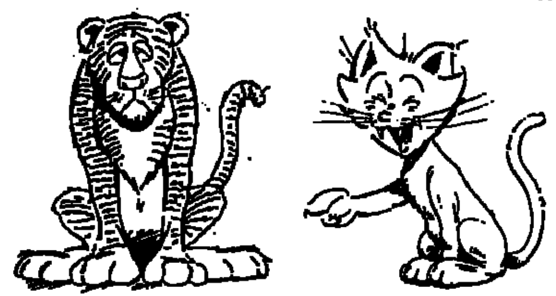
«كايزن»!

وقال فخري الفران في محاضرته، مستمدا معلوماته من موسوعة العلامة الياباني فلسفاتو اقتصادياتو، ان «الكايزن» هي وسيلة النجاح في الجاز اعلى مستويات التطور وتعني، بشكل عام، المثابرة في بذل الجهود بمشاركة جميع العاملين، من قمة الهرم الاقتصادي حتى قاعدته، مع احترام كرامة الجميع وجيوبهم.

وتتلخص عملية تطوير الانتاج بثلاثة عوامل اساسية هي:

- زيادة الجودة.
- تقليص التكاليف.
- تسريع التصريف.

ويؤكد العلامة الياباني فلسفاتو اقتصادياتو على ان رفع مستوى جودة البضاعة وتقليل مصاريف انتاجها يضعها في



اعلى درجات سلم طلبيات السوق، لان الناس تغف، كالطيور الجوارح، على «الرخيّص والكويّس» الذي يسرع صاحبه الى تصريفه في الوقت المناسب والمكان الصحيح.

ويشير العلامة فلسفاتو اقتصادياتو الى ضرورة تداخل هذه العوامل الثلاثة مع برنامج دوري لتطوير الانتاجية يتألف من.

[illegible]

والنقاط الخمس تشكل مرحلة البداية في تعبيد الطريق لتطبيق اخر ما وصلت اليه تكنولوجيا الهندسة الصناعية وهي:

١) التصفية: وتوصي بضرورة التخلص من الاشياء غير الضرورية.

٢) الترتيب: ينصح بالاحتفاظ بكل ما هو قابل وجاهز للاستعمال.

٣) التنظيف: يدعو الى التفتيش المتواصل للتأكد من سلامة مكان العمل ونظافته.

٤) التقييس: يقول بأهمية المحافظة على نجاعة النقاط الثلاث السابقة.

٥) التدريب والانضباط: يحث على تطوير المهارات المهنية وضبط وصيانة السلوك الحسن خلال العمل.

وهذه النقاط الخمس لا تهدف الى توفير الحلول للمعاضل الفنية التي تواجه عملية الانتاج فحسب، بل وترمي الى تحسين الادارة ذاتها وزيادة فعاليتها.

فمدير الادارة الذي «يتقن القراءة والكتابة ويعرف على الساعة» يشكل اداة محفزة تدفع العاملين الى المثابرة في فعل الفعل وقطف ثماره خاصة اذا استوعب النظرية الجديدة لـ..

الادارة!

تعتمد النظرية الكلاسيكية التقليدية في الادارة على ادارة الامور من فوق لتحت، من القمة الى القاعدة، بواسطة اصدار الاوامر التي غالبا ما تكون تعسفية ومغلفة بوعود عسلية.

اما النظرية العصرية فتنصح بأن تتم العناية بقواعد الهرم قبل قمته، وذلك للحفاظ على التوازن بين بنيتي العطاء، الفوقانية والتحتانية، وبين ما نريد وما نحصل عليه. وكل هذا يحتاج الى

رقابة!

وانطلاقا من تجربته الحياتية المديدة دوّن العلامة الياباني فلسفاتو اقتصادياتو في موسوعته ما يلي:

- كل ادارة بحاجة الى رقابة. وكل رقابة بحاجة الى ادارة. وكل ادارة رقابة بحاجة الى رقابة. وهكذا دواليك.

ونؤكد على دواليك هذه حتى لا يتحقق المأثور الشعبي العربي القائل: «المال السايب يعلم الناس السرقة».. وهكذا دواليك!

وفي اخر سطر من موسوعته كتب العلامة الياباني فلسفاتو اقتصادياتو:

- لا تدعوا «هكذا دواليك» تفلت من الرقابة.

مدمن سابق على الكحول:

ابني ترك المدرسة ليعيل العائلة.. وأنا قطعت بالسكين شرايين يدي!

☐ السيد ناصر حاج يحكي عن تجربته: كنت اشرب، يوميا، زجاجتين من العرق، على الأقل.. حتى اصبحت كأنني غير موجود!

☐ اليوم هو معافى، بعد ان توجه الى مركز حيفا للفطام، واحتاج الى سنتين من العلاج للتخلص من هذه العادة.

☐ العاملة الاجتماعية سامية يحيى تتحدث عن عمل مركز علاج متضرري الكحول في الناصرة: افضل طريقة للعلاج هي زيادة الوعي والتثقيف.

● يأخذ موضوع الادمان على الكحول، في الأونة الأخيرة اهتماما واسعا بين العاملين في علاج المدمنين من اخصائيين اجتماعيين ونفسيين والمراكز الخاصة للعلاج والفطام، اذ تبين ان المشاكل التي يعانيها مدمن الكحول، لا تختلف كثيرا عن المشاكل التي يعانيها مدمن المخدرات سواء من الناحية الاجتماعية وعلاقته مع عائلته داخل البيت والمجتمع المحيط به وكذلك الأمر اقتصاديا وصحيا.

واطلالة بسيطة على وضع احد هؤلاء المدمنين، الذي نجح في تجربة الفطام التي مر بها خلال سنتين، تظهر مدى خطورة الادمان على الكحول والعواقب القاسية التي يواجهها الفرد وعائلته.

* قصة ناصر حاج مع الكحول *

ناصر حاج (٤٤ عاما) من سكان عبلين، هو أب لخمسة اولاد، قضى ثماني سنوات من حياته في وضع، كما يقول: «لا اتمنى ان يجربه اي شخص او عائلة»، وذلك بعد ان ادمن على شرب الكحول حيث كان يتناول يوميا زجاجتين من العرق على الأقل، بدءا من لحظة استيقاظه في ساعات الصباح حيث يشرب كأسين، ثم.. لا ينتهي اليوم دون شرب الزجاجتين، وكما يقول لنا السيد ناصر: «شرب الكحول كالمثل القائل «اوله دلع وآخره ولع».. فانا منذ ان بلغت التاسعة من عمري، كنت أجلس مع والدي وأشرب منه «شفطة» كما يقولون، ومن ثم بعد سنوات اعتدت عليه، فلم اتردد في شربه مع الاصدقاء والعائلة في النزهات والرحلات والبيوت، وعندما بلغت العشرين عاما، كنت اتناوله بكثرة، ولكن دون الادمان عليه».

يحدثنا السيد ناصر ويعود بذاكرته الى العام ١٩٨٧، حيث وقع له حادث طرق ادى الى احداث تغيير جذري في حياته.. «عند وقوع الحادث اصبت باصابة قاسية في عيني مما اضطرني الى ترك العمل.. فقضيت ساعات طويلة في البيت لوحدي ومللت من الفراغ، ولم اعد احتمل الجلوس داخل البيت، فرافقت اصدقائي الى المقاهي والحلقات البيتية، وخلال هذه الجلسات كنت اتناول معهم الكحول وخصوصا العرق، واصبحت حياتي هذه تقليدية وتأخذ من وقتي ساعات طويلة كل يوم.. واعتدت فيها على شرب العرق يوميا حتى وصلت الى وضع لم استطع فيه عمل اي شيء في ساعات الصباح دون شرب كأسين ثم استمر بالشرب طوال اليوم حتى انهي زجاجتين على الأقل.. وبقيت على هذا الحال لمدة اربع سنوات دون ان اعاني من اية مشاكل اقتصادية.. ولكن بعد ذلك توقفت مخصصات التأمين الوطني واصبح وضعي الاقتصادي صعبا وأخذ يتدهور.. لكنني لم أقدر على التنازل عن شرب العرق.. وهنا بدأت المشاكل تتأزم داخل العائلة. وانا.. كما لو انني غير موجود.. لا اصحو على نفسي ولا على عائلتي، ووصل الوضع سوءا حتى اضطر ابني الى ترك مقاعد الدراسة والتوجه الى العمل.. وأخذت المشاكل تزداد داخل العائلة.. واذكر انني صحوت يوما وقد قطعت بالسكين شرايين يدي.. دون ان اذكر لماذا.. وكيف.. وأين.. ومتى.. وهذه واحدة من مشاكل كثيرة واجهتها وعانيت منها وبالطبع كانت عائلتي تعاني اضعاف ما عانيت».

* تقرير: آمال شحادة *

* التوجه الى مركز حيفا للفطام *

... وهكذا استمر وضع السيد ناصر حاج.. حتى العام ١٩٩٤.. «في حينه تعرفت على صديق جديد كان قد عولج من ادمان الكحول ونصحني بالتوجه الى مركز حيفا للعلاج، وكان ذلك في شهر تشرين الاول، ومنذ الزيارة الاولى الى المركز قررت ان لا اتراجع عن العلاج من هذا المرض اللعين.. وداومت على العلاج، مرتين في الاسبوع، حتى ٩٥/١/٢٥ ثم انتقلت الى مركز «رمات غان»، للبقاء هناك لمدة اربعة أشهر، وهي المرحلة النهائية من العلاج.. وهناك قضيت اياما قاسية وصعبة.. لا يمكن ان انساها، بسبب المعاناة التي لاقيتها كلما شعرت ان جسمي بحاجة الى الكحول».

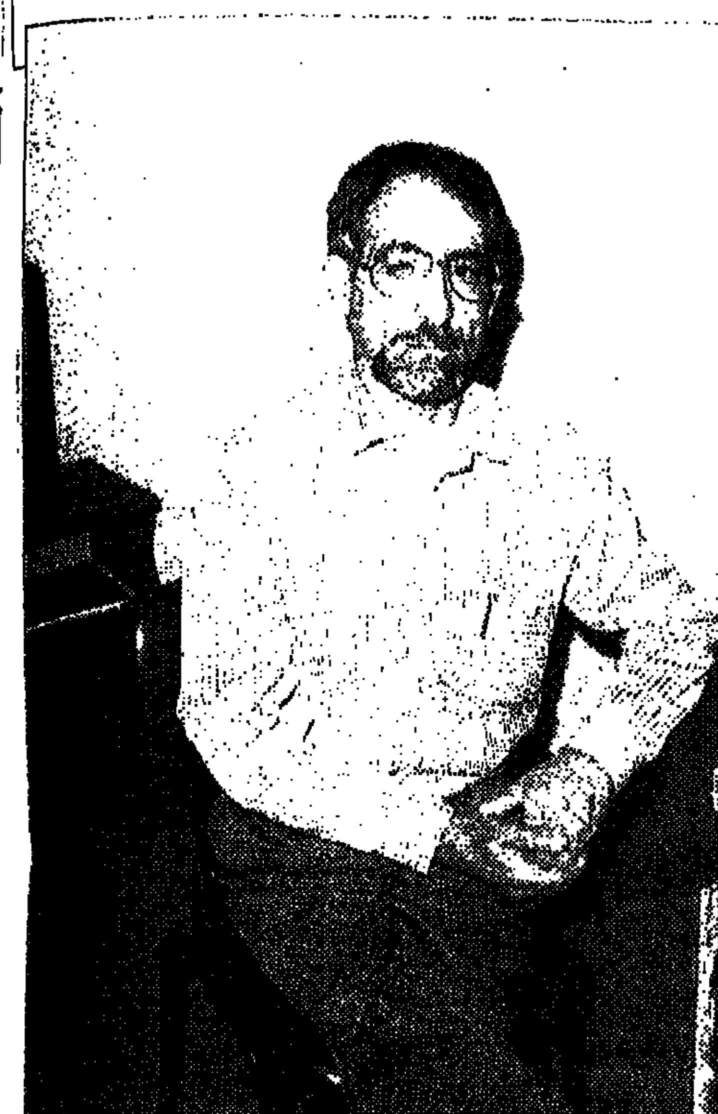
يحدثنا ناصر ويضيف: «في البداية حصلت على دواء كبقية المعالجين ولكنه لم يفدني، فعندما كنت أشعر بالحاجة لشرب العرق ولم أجده كان جسمي يرتعد ويصيبني «الكريز»، كما يقولون، ولم اعد قادرا على فعل شيء حتى اضطر المسؤولون الى زيادة كمية الدواء.. لقد كانت فترة قاسية وصعبة.. ولا اتمنى لأي انسان ان يمر بها. ولكنها كانت بالنسبة لي درسا ابديا، فالضرر الذي لحق بي لم يقتصر على الناحية الاجتماعية او الاقتصادية بل عانيت وما زلت اعاني من مشاكل صحية، حيث تبين ان المشروب ادى الى اضرار صحية في الكبد، وحسب ما قال لي الاطباء، فلو تأخرت عن العلاج لعدة أشهر لكان من الممكن ان ينفجر الكبد.. والله يعلم ما كان سيحصل لي».

يقول محدثنا.. وكله ثقة بان كل انسان بامكانه العلاج اذا كانت لديه الارادة... «بعد العلاج تشعر انك في عالم آخر.. انا اليوم اعمل متطوعا في مركز «رمات غان» اذ ارشد كل من يدخل الى المركز من خلال التجربة التي مررت بها».

ويؤكد السيد ناصر ان مدمني الكحول موجودون في كافة طبقات المجتمع: «في مركز «رمات غان»، يصل مدمنون عرب، نساء ورجالا، بينهم اطباء ورجال اعمال.. وجميعهم يرفضون الحديث عن الموضوع خجلا، مع أنني مقتنع ان نقل التجربة والحديث عنها هما افضل وسيلتين لعلاج هذه الظاهرة الخطيرة».

* الوسط العربي ما زال يفتقر لمراكز الفطام *

.. عموما لا يزال الوسط العربي يفتقر للمراكز الخاصة لعلاج مدمني الكحول. في مدينة الناصرة، افتتح في شهر تشرين الاول من السنة الماضية مركز لعلاج متضرري المشروبات الروحية، وذلك بعد ان تبين ان هناك عددا كبيرا من المواطنين المدمنين على الكحول، ولكن دون ان يتم حصر هؤلاء، وكانت المبادرة من خلال دائرة الخدمات الاجتماعية في بلدية الناصرة وبالتعاون بين وزارة العمل والرفاه وجمعية «افشار». وكما تقول العاملة الاجتماعية سامية يحيى:



* السيد ناصر حاج *

«عولج ٢٢ شخصا ويعتبر هذا الرقم كبيرا خلال الفترة الزمنية القصيرة».

ويتم علاج المدمنين في البداية من خلال جلسات مع الاخصائي الاجتماعي الى جانب اجراء الفحوصات اللازمة من قبل طبيب، وتقول العاملة الاجتماعية سامية يحيى: «تكون الجلسات علاجية حيث يتم من خلالها رفع ارادة المدمن للعلاج، والى جانب هذا نقدم المساعدات لعائلات المدمنين ايضا لمواجهة الضائقة التي يعيشونها».

وتضيف يحيى: «الاقلاع هو المرحلة الاولى في برنامج العلاج، حيث تقدم المساعدة للمعالجين في مرحلة التوقف عن الشرب ومن ثم يمرون بتحضيرات لمواجهة ظاهرة الفطام، وفيما بعد يستمر العلاج النفسي والاجتماعي عن طريق تعميق المعرفة والوعي عن المرض ونتائجه، كما تقدم الطرق الخاصة لمواجهة التغييرات التي طرأت في هذه المرحلة بمشاركة افراد العائلة، حيث يحظون باهتمام خاص وتقدم لهم المساعدة في مواجهة الضائقة التي يعيشونها».

ويضع المركز برنامجا خاصا لعمله يشمل:

* اقامة مجموعة خاصة للأشخاص الذين عبروا فترة الفطام، بهدف منعهم من العودة الى الادمان * اقامة مجموعة خاصة لنساء المدمنين، بقصد مساعدة المرأة وتجنيدها للتغلب على المصاعب التي تعاني منها بسبب الوضع القائم، وكما تقول يحيى: «عائلة المدمن تعاني عموما من وضع اجتماعي اقتصادي صعب خصوصا العائلات الفقيرة وكثيرة الأولاد، حيث ان المخصصات التي تحصل عليها من التأمين الوطني غير كافية مما يؤدي الى وضع نفسي وعصبي صعب لجميع افراد العائلة وخصوصا الزوجة، وعليه فهم بحاجة الى المساعدة».

الى جانب هذا يسعى المركز الى اقامة ما يسمى بمجموعة (A.A) بمعنى مساعدة ذاتية للمدمنين اذ تلتقي المجموعة مرة في الاسبوع مع أحد الأشخاص الذين عبروا فترة الادمان، حيث يستمعون منه الى تجربته خلال فترة الادمان وأهمية التخلص من هذه العادة. وكذلك اقامة مخيم لنساء المدمنين بالاشتراك مع مراكز المغار وكفرياسيف وحيفا.

ولا شك ان افضل طرق العلاج لمثل هذه الظاهرة الآخذة بالانتشار هي زيادة الوعي والتثقيف، وعليه يسعى المركز الى ادخال موضوع الشرح والتوعية الى المدارس والمؤسسات المختلفة مثل الشرطة ومراكز العمل.

ويبقى ان نشير الى ان مدمني الكحول يصلون الى العلاج في المركز عن طريق التأمين الوطني او بمبادرات شخصية.

قضية وموقف

● بقلم: د. حبيب بولس ●

في اطار الحديث عن ازمة القراءة محليا. تحدثنا في المرة الماضية عن قضية مستوى الكتاب المحلي عند جيل ما قبل عام (١٩٤٨) وما بعده بقليل. اليوم سنحاول متابعة الموضوع من خلال رصدنا للمستجدات التي طرأت على الجيل الثاني، واعني جيل ما بعد الخمسينات.

المتتبع للحركة الادبية المحلية يلحظ ان نشوة ما اصابت الادب المحلي مع بداية الستينات وأواسطها، سببها الظروف السياسية، ففي حينه، نشأت اقلام جادة شابة واعدة راحت تثبت اسماءها على صفحات المجلات والصحف المحلية في الشعر والنثر والنقد والفكر. وكان لصحف الحزب الشيوعي دور كبير في ابراز هذه الاسماء. كما كان دور اخر لصحيفة «اليوم» ومن ثم «الانباء» و «حقيقة الامر» و «الفجر» و «المرصاد» في فتح صفحات ادبية لاقلام محلية شابة كثيرة. بعض هذه الاسماء نال شهرة محلية كبيرة وقد تم نقل انتاج هذا البعض الى العالمين العربي والغربي، وذلك لان الادب المحلي بدأ يلقى اهتماما كبيرا في تلك الفترة. وبسبب التعاطف مع القضية المحلية فلسطينيا وعربيا احترم العالم العربي معظم ما كان ينشر عندنا في حينه، لا بل كتبت حول بعض الاقلام المقالات النقدية الاستعراضية التعريفية، وقد رصد نفر على قلته ادبنا المحلي وعاينه ودرسه ونشر كتبا عنه. ولكن بالرغم من هذا الانتشار الواسع والشهرة تحتم علينا الموضوعية ان نقول: ان التقريظ الكبير الذي ناله ادبنا في الخارج لم يكن نابعا عن موضوعية علمية بقدر ما كان نابعا عن حب وتعاطف ودهشة، وقد عبّر عن ذلك في حينه شاعرنا الكبير محمود درويش حين اطلق جملته المشهورة «انقذونا من هذا الحب القاسي».

وهكذا ومن هنا نعود الى المساءلة التي كنا قد طرحناها في البداية، هل مستوى الكتاب العربي المحلي تحسّن في هذه الفترة ام ظل يلهث وراء مستوى الكتاب العربي عموما؟

للحقيقة اقول: ان المستوى تحسّن ويكمن وراء ذلك عوامل كثيرة، ليس هنا المجال لذكرها كلها. وحين اقول المستوى تحسّن اعني ان المواضيع بدأت تشوق القارئ بعد ان كانت حيية منفرة احيانا والاسلوب ارتقى وارتفع الى مستوى لا بأس به، ولكن هذا كله كان عند البعض القليل وليس عند الاغلب. فالاغلبية في حينه غرقت بالتقليد والجري وراء الكتاب العربي دون طائل، الامر الذي ادى فيما بعد الى توقف هؤلاء عن الكتابة.

الكتاب المحلي اذن اخذ في الارتفاع مضمونا وشكلا، وعلى قلة ما كان ينشر من كتب في حينه اقبل الناس على قراءته، وقد ساهمت الندوات والمهرجانات التي اقيمت لهذا الادب في الستينات في الدعاية والترويج له خاصة مهرجانات كفرياسيف والناصرة. وهكذا راح الانتاج المحلي يلعب دورا رياديا لدى الجماهير العربية في اسرائيل، الامر الذي رفع من كرامة الكاتب وحفزه الى المزيد من العطاء والتقدم والتجريب. ولكن هذا الادب رغم ثباته وبعد رؤيته السياسية دخل تجربة مرّة خاصة بعد نكسة حزيران (١٩٦٧)، وذلك بسبب الانفتاح الكبير الذي حصل عندنا على العالم العربي، واعني ذلك التهافت «المبارك» من قبل المتعلمين والمثقفين في حينه على الكتب العربية الوافدة من مصر وسوريا ولبنان والمغرب العربي، تلك الكتب التي كنا محرومين منها مدة طويلة من الزمن، ومن خلال هذه الكتب عاد المدّ العربي الفكري والادبي يلعب دوره السابق في ريادة القراءة عندنا، اذ بعد قطيعة دامت عشرين عاما تقريبا مع كل ما كان ينشر في العالم العربي ومع تغييب متعمد للفكر والادب العربيين، عاد هذا الادب ليحتل مكان الصدارة وكان على الادب المحلي ان يجاهد كثيرا كي يصل بأدبه الى مستوى الكتاب العربي الذي اصبح متيسرا، وفعلا بدأنا نشهد في اواخر الستينات منافسة كبيرة بين ما كان ينشر عندنا وما كان ينشر هناك، ولّدت هذه المنافسة في البداية رهبة لدى كتابنا، ولكنها رهبة سرعان ما بدأت تقشع فانطلق كتابنا بعدها يمتحون من هذا المناخ الفكري والادبي الجديد والخصب، فأثرى هذا الانفتاح ادبهم وعالمهم الفكري واغناه واخصبه ورفع مستواه. وصارت تكاليف نشر الكتب اقل من السابق وعملية التوزيع اسهل، وفتحت آفاقا كثيرة ومجالات متنوعة لانتشار القلم المحلي، ووصلت كتاباتنا الى العالم العربي عبر الضفة والقطاع. وفعلا شهدت سنوات السبعين هبّة ادبية فكرية محمودة، وتحسنا في الانتاج ملحوظا، وقد تنبّه الى ذلك عدد من الادباء والمثقفين فأقاموا دور نشر كرّست جل همها لنشر الادب والفكر المحليين كمكتب صلاح الدين في القدس وكدار عربسك في عكا/حيفا وكالاسوار في عكا. ودفعت هذه المكاتب بالكتاب المحلي الى امام فازداد القراء وازداد الطلب. وهكذا نجد ان عام (١٩٦٥) وما تلاه ولّد في البداية رهبة كادت تكون مانعا لدى الكاتب المحلي لانه تهيّب المنافسة في البداية ولكنه بعد ذلك صار خطوة مباركة للادب المحلي حيث انطلق ادباؤنا مستفيدين من العالم العربي ومحسّنين ادواتهم ليصمدوا امامه. ومرة اخرى انوّه بأن هذا الكلام لا ينطبق على جميع الكتاب عندنا بل على بعضهم، اي على هؤلاء الذين تحدّوا وقبلوا المنافسة فصمدوا لها وانطلقوا من الضيّق الى الرحابة والشمولية، وهكذا تحسنت ايضا النظرة الى ادبنا فصارت نظرة موضوعية وصار المعيار اما ان يصمد اولا يصمد هذا الادب امام التحديات الكبيرة وقد صمد العديد من كتبنا المحلية لذلك لاقت هذه الكتب الاهتمام والشهرة بحيث اعيد طبعها مرات في العالم العربي وترجم بعضها الى اللغات الاوروبية.

ومما زاد في شهرة الكتاب المحلي واقبال الناس على قراءته محليا امران هامان: الاول – ارتفاع نسبة المثقفين وانتشار الوعي والاهتمام بكل ما هو محلي اصيل تبعا لذلك. والثاني ان هذه الكتب والمنشورات المحلية كانت فارسة الميدان الوحيدة في حينه، وذلك لان وسائل الاعلام المرئية – المنافس الكبير – لم تكن قد دخلت الساحة المحلية بعد، وذلك لان معظم قرانا كانت محرومة من كل مظاهر التمدن حتى اواسط السبعينات تقريبا. وهكذا اذن لم يكن للكتاب المحلي ما ينافسه ويشل حركته وانتشاره وقراءته لسنوات سوى الكتاب العربي، وحتى هذا لم يعد ذلك المنافس الخطير كما كان من قبل وقد اسلفنا ذلك.

مما تقدم نصل الى نتيجة تقول: ان ما كان يعانيه الكتاب المحلي من حيث مستواه وإعراض القارئ عنه في الخمسينات، قد زال وتراجع في السبعينات لا بل حصل هذا الكتاب على اقبال الناس وتحمسهم له وهكذا يزول مع هذا الاقبال على القراءة العائق الاول من العوائق التي لعبت دورا مهما في قضية القراءة.

والسؤال الذي يرتفع الان، وهل بزوال قضية مستوى الكتاب المحلي زالت ازمة القراءة محليا؟

حقيقة نقول: لا، بل بالعكس، فبعد الهبّة المحمودة التي شهدتها سنوات السبعين اخذت القراءة تتراجع تدريجيا خاصة القراءة المحلية فمع بداية الثمانينات ووصولا الى التسعينات بدأت الازمة تتفاقم حتى صارت اليوم الشغل الشاغل للادباء، وذلك يعود الى اسباب كثيرة سنحاول الوقوف عندها حسب اهميتها.

اول عامل من الممكن ان نشير اليه في غمار هذه المساءلة، والذي لعب دورا في تهميش عملية القراءة هي وسائل الاعلام المرئية. من المعروف ان قرانا العربية قد اخذت تتمكن بعد اواسط السبعينات تقريبا، وهذه المكننة سمحت بطبيعة الحال بدخول وسائل الاعلام المرئية الى كل بيت، وككل شيء جديد ومدهش انجذب الناس الى هذه الوسائل الجذابة مذهلا بحيث سيطرت على الاغلب الاعم منا ببرامجها الخفيفة المتنوعة الترفيهية والثقافية والسياسية وغيرها. ومع تطور الحياة تطورت هذه الوسائل اكثر فأكثر، فدخل الى جانبها «الفيديو» الذي استحوذ هو الاخر على جزء كبير من اهتمام الناس، ثم تلته محطات «الكوابل» الكثيرة التي راحت تتنافس على جذب المشاهد فيما بينها. وكل ذلك كان على حساب القراءة وذلك لان وقت الفراغ لدى القارئ راح يتضاءل تدريجيا ويدخل اليه منافسون الداء للكتاب، لا بل لم يعد هناك وقت للقراءة وذلك لانها تتطلب جهدا فكريا وكذا ذهنيا على خلاف البرامج المتلفزة او المسجلة التي يستطيع المشاهد رؤيتها وهو مرتاح. اضف الى ذلك ان الوسائل التكنولوجية الاخرى دخلت الميدان ايضا للتنافس هي الاخرى على البقية الباقية من وقت الفراغ، واهم هذه الوسائل كان الحاسوب الذي بدأ الوعي به في السنوات القليلة الماضية، والذي صار يحتل اليوم مكان الصدارة لدى الجيل الشاب وذلك لانه يوفر لهم المعلومات بسهولة وبتكاليف قليلة. وهكذا نجد انه رغم تزايد عدد المتعلمين، الامر الذي كان من المفروض ان يؤدي الى تزايد مطرد للقراءة وجدنا العكس تماما. فقد دخلت القراءة منافسة شديدة مع هذه الوسائل وكانت هي الخاسرة لانها لا تملك الجذب المريح الذي تملكه تلك الوسائل. صحيح ان هذه الازمة ليست ازمة محلية انما هي ازمة عالمية، ولكنها هنا لعبت دورا شرسا في ابعاد القارئ عن الكتاب وإلهائه ببرامج قللت من وقت فراغه بحيث نكاد اليوم لا نجد الا قلة قليلة من الذين يواصلون القراءة وذلك لوعيهم بأهميتها وفوائدها. وقد قلت هنا واعني لدينا لان المنافسة عندنا جديدة لما يصل عمرها الى عقد ونصف تقريبا لذلك هي لم تفقد لغاية الان بريقها لدى الناس والقراء خاصة الذين بدأت قراءاتهم تتناقص هذه الايام حتى صارت تقتصر على قراءة الصحيفة المحلية وربما على عناوينها فقط.

اذن التنافس الشديد بين القراءة ووسائل الاعلام المرئية بكل تشعباتها، والتكنولوجيا بكل امكانياتها، هذا التنافس لم يكن في صالح القراءة، وربما مع ازدياد الوعي والتجارب سيأتي ذلك اليوم الذي سيجد فيه الانسان العربي ان القراءة هي الاهم. ومثلما وصل الانسان الغربي الى هذه الحقيقة نأمل ان نصل نحن ايضا اليها قريبا.

اذن القراءة في ازمة لا بل في ازمة شديدة اليوم طالما انها لم تستطع لغاية الان التغلب على اشد منافسيها ضراوة، ولكن هل الازمة محصورة بوسائل الاعلام المرئية والتكنولوجيا الحديثة فقط؟! أم ان هناك أسبابا اخرى لها؟!

عن هذا سنجيب في الاسبوع القادم.

قصتان

● بقلم: محمود ابو رجب ●

بيضة ام عون

كل ما نحن وانتم فيه بدأ ببيضة، بيضة غير عادية، هي ليست بويضة ستنا حواء كما قد تظن، فتلك كانت بويضة غير مرئية، منها تكاثر البشر. اما هذه فكانت بحجم بيضة النعام، وضعتها «ام عون» ولم تصدق نفسها، فقد اخذت تحوم حولها وهي تقرقر فزعة مذعورة بينما هرعت ام محمد مع الجيران والمارة يتفرجون على البيضة بدهش واستغراب، وهي ملقاة على الارض لا تدري عما احدثته في الحي من جلبة.

كفت ام عون عن القرقرة والصراخ واخذت تحوم في ساحة البيت وتحت التينة الضخمة الشاهقة تبحث لها عما يصلح للالتقاط، بينما اخذ علي الصغير «يبرطع» بفرح، يدور حول البيضة راكضا ثم يتجه نحو «ام عون» (وهو الذي اطلق عليها هذا الاسم)، فيمسكها من ذيلها بحب ومودة، ويشعر بمنتهى السعادة والغبطة عندما ينجح بانتزاع ريشة من ذيلها، معتقدا ان البيضة ستجلب السعادة للقرية كلها، والا فما سبب هذا التجمهر حولها؟!

صاحبة البيضة ام عون كانت اول «دجاجة مؤن» تصل الى البلدة مع اخت لها. جاءتا صوصين صغيرين ثمرة تجارب اللقاح الاصطناعي، وكبرتا على مرأى من الصغير علي واصبحتا عملاقتين، فكانتا اول الاشياء التي بدأت تحتل حيزا في الفراغ الكبير.

بعد ذلك جاء تجار زبل الغنم والدجاج الذي كان يتراكم في وسط البلدة، حيث يجتمع الشبان في الطريق التي تمر منها الصبايا الى عين الماء. جاءوا بشاحنة جذبت الصغار فطاردوها حفاة ليتسلقوا جنباتها.

واخذت الدنيا بعد ذلك تصغر اذ جاء تاكسي ابو يوسف وبدأت الحمير تختفي، ولكن ليس قبل القبرصي، فقد كانت دائرة الاراضي احضرته لحارس الاحراش كوسيلة نقل خاصة. وكنا نسمع بالقبارصة ولكننا عجزنا عن تصور ضخامتها الى ان جاء ذلك الحمار، فكان اكبر حجما من البغل، واحتل حيزا اكبر مما احتلته ام عون بكثير، وكان علي الصغير يبدو وهو على ظهره اصغر حجما منه وهو على الارض.

واخيرا ماتت ام عون او ذبحت، ومات القبرصي او بيع دون ان يتركا ذرية. وقد حزن علي الصغير، وبكاهما دموعا ساخنة. اما تاكسي ابو يوسف فخلف تندر «ويلز» ثم باصا، فشاحنة، وسيارات خاصة لا تعد ولا تحصى، ملأت الفراغ الكبير وسدت الافق، وحجبت الشمس، فاختفى الصباح واختفى المساء وحشر الناس في علب كالسردين. وتحول الفضاء الرحب الى صناديق من الاسمنت، ولم يعد هناك مكان للنورج والبيدر والجرن، ولا حتى لشجرة خضراء واحدة.

الجريمة

لو كنت تأخرت بعض الوقت فقط، لو كنت، لاعفيت نفسي من رؤية المشهد الفظيع. لكن سوء حظي قادني في الوقت المناسب وآثار الجريمة لا تزال تصرخ.. الجسد ملقى على الارض.. والوحش.. آلة التنفيذ رابضة بالقرب من الجسد الحي وقد تهدم وتبعثرت اجزاؤه في الساحة القريبة من العمارة الشاهقة.

ما ان وصلت الى المكان، وقبل ان ادخل الى المصعد حتى لمحت اجزاء الجسد تنتفض. لم يكن المنظر واضحا تماما، فغيرت موقعي لاشاهد تفاصيل الجريمة. قفزت بعصبية وانفعال، وصلت الى مكان يطل على ساحة الجريمة، وما ان وقع بصري على الجسد الممدد حتى تسمرت مكاني، اقشعر بدني وسقط قلبي الى قدمي. كان جسدا عريقا ذا مجد وتاريخ. فرح اهله به عند الولادة بشكل لا يوصف. كان فرحا.. غمر الدنيا كلها. لكن الولد المجنون لم يأبه بشيء فأقدم على ارتكاب الجريمة.. ولم يبق سوى جدار يحمل بعض البقع ولوحة مرسومة باتقان كوشم في خد حسناء.

احسست بأرواح الاهل والاقارب الذين غادروا من قبل تحيط بي.. اصوات الاستغاثة أصمّت اذني، وما من مجيب.

ظل الصاعدون والهابطون، الداخلون والخارجون، يمرون بدون اكتراث، بعضهم

البقية ص(٢١)

● غادة شافعي ●

ليلٌ يحاور مرآته

قبل ان تطأ الليل
بحوافرٍ شربت ملامح الرمل
وهي تركض في الاتجاهات
خيولاً وظلالاً
ينزل الضوء الى علبته
وتأوي الى ركن في الصفيح
الايدي التي تعجنُ الريح

قبل ان تصل
الى عتمة نائمة في الظل
اطرق الباب مرتين
لينساب نحوك كل الحنين
الذي يختبئ في الخزائن
ليأتيك مخلوطا بأصداء غيم قديم
همسُ المرآة على الحائط
حيث رمادٌ تراكم فوق البياض الطويل

قبل ان تدخل اجزاءك
في سفر مائل عن خطوط الوقت
افتح حتى التفكك ايامك المغلقة
بشمع فاض عن ذوبانه
وعبئ في الحقائب الجلدية
ذاكرة تطنّ كما النحلُ
في دورانه المستطيل

قرقعة طبول شائكة
توقظ في الشبابيك ليلا
او سمّه انت
شرخا طويلا
ترقعه العتمة
بفتات ظلال مقطوعة

قرقعة طبول مخلوطة بضجيج الرمل
تفرغ الوقت من صمته البطيء
وتبعثر في زواياه
رمادا
ودخانا
وانت بين اطلال حريق ينسى
تُرقّص ريحاً في النسيان
كمن يحاول تفكيك الزمن الى شظاياه
او كمن يقطّع الليل الى اخشاب يابسة
تذرف في الاتجاهات
عواء طبول مطعونة

(عكا)

التفاتة التدجين

● بقلم: نسرين مغربي ●

ابتسمت في احدى المحاضرات التي تناولت العلاقة بين السينما وعلم النفس ساعة اعلن المحاضر ان من يسهل عليهم الانغماس في جو الافلام (او ما يسمى بتشغيل جهاز «ارجاء عدم التصديق») يكونون اكثر ميلا للتأثر بالتنويم المغناطيسي.. اقول اني ابتسمت لاني من المنغمسات اللواتي يسهل اغراقهن في الافلام ويسهل عليهن التماهي مع البطلات والابطال (بما في ذلك البكاء الصامت في اللحظات الدرامية المناسبة!)، وهكذا اكتشفت عرَضا قابليتي للتنويم المغناطيسي. ومن بين الافلام التي شغلت بسببها، وبسهولة، جهازي الخاص بارجاء عدم التصديق الى اقصى حد فيلم البيانو (من اخراج جين تشامبيون، ١٩٩٣). تدور احداث الفيلم في القرن الثامن عشر، وبطلته امرأة اسكتلندية خرساء يتضارب شغفها بالعزف على البيانو مع رفض زوجها الحديث – وهو رجل بورجوازي من الكولونياليين في نيوزلندا في تلك الفترة – ومحيطها الحديث (نيوزلندا) الذي انتقلت اليه بعد اتفاقية زواجها التي عقدت بين والدها وزوجها. لهذا التعلق وعدم فهمهم لحقيقة ان البيانو ليس الا امتدادا عضويا لها بوصفه واسطة تعبيرها عن نفسها صوتيا. لن اتطرق بالتفصيل الى احداث الفيلم لكني سأركز على حدث محدد كان له اثر كبير عليّ كمشاهدة متفاعلة ومتماهية الى اقصى حدود التماهي. في بداية الفيلم وبسبب رفض الزوج نقل البيانو الى البيت يبتاعه مدير اعمال الزوج وهو رجل غريب الاطوار يبدو بدائيا ومنفرا برشمه وهيئته العامة، اضافة الى بعده عن المثال التحضري المعهود – رغم ان الزوج ايضا كان منفرا بغض النظر عن مظهره الحضاري، لكن في حالة هذا الشخص يبدو سبب النفور ملموسا وهو غرابة شكله الخارجي او بالاحرى بدائيته المرعبة نوعا ما. ورغم اعتراض المرأة على بيع البيانو الا ان الصفقة تتم بين الزوج ومدير اعماله، بل ونراه يجبرها على الذهاب لكوخه لاعطائه دروسا في العزف على البيانو. وترضخ المرأة لمشيئة زوجها، لكن الرجل يصارحها من الدرس الاول بأنه لا ينوي تعلم العزف انما يرغب في الاستماع اليها وهي تعزف. ومع مرور الوقت نلاحظ ان الرجل اخذ في التعلق بها لدرجة انه بدأ يساومها، رغبة في امتلاكها جسديا اولا ونفسيا لاحقا، على بيع مفاتيح البيانو الموسيقية. وبسبب هذه المساومة يزداد مقتي له تماهيا مع مقت المرأة قليلة الحيلة. وبسبب التصاق المرأة العضوي – النفسي بالبيانو تقبل مساوماته التي تأخذ مجرى منفرا شيئا فشيئا: مجرد سماعها تعزف وهو واقف بعيدا يرقبها، مجرد رؤية قطعة من ثوبها، مجرد تلمس مربع صغير من بشرتها.. مجرد.. مجرد.. وعبر الفيلم يتضح لنا ان الرجل بدأ يطور تجاهها حبا اقرب الى الفيتيشية رغم انهما لم يتبادلا اية كلمة، ووسيلة حوارهما الاساسية كانت عزفها على البيانو واستماعه الى هذا العزف. وفي النهاية يتنازل لها الرجل الغريب عنه بعد ان ايقن انه لن يتمكن من احتيازها نفسيا رغم مساومتها جسديا ورضوخها له. وهكذا تفوز المرأة بالبيانو، تنقله الى بيتها وتبدأ بالعزف كالمعتاد لكنها تتوقف بعد نغمتين او ثلاث ثم تلتفت الى الخلف التفاتة لا تخفى علينا انها تبحث عن عينين طال تحديقهما من الخلف، ومن الان فصاعدا يتحول الرجل من غريب منفر الى قريب محبب. لكن الامور ليست بالبساطة التي تبدو لاول وهلة فاقتران العزف بنظرة او وجود الاخر لم يكن مجرد اقتران عابر انما يبدو ان شحنة العاطفة الفيتيشية التي بثها الرجل وجدت صداها في نفس المرأة حيث تغلب العزف (الفن) على عائق اللغة والحوار بينهما. فالمرأة خرساء (ويبدو خرسها متعمدا لانها لا تعاني من اي خلل عضوي يمنع نطقها) والعزف وسيلتها الوحيدة للتعبير (للحديث) عن نفسها، اما الرجل غريب الاطوار فانه اقرب الى الطبيعة منه الى التحضر الذي تكتنفه مئة الف علامة استفهام (والدليل القاطع هو الزوج المتحضر الخالي من اية ومضة روحانية)، وعبر هذه المزاوجة بين المرأة والرجل بطبيعتهما الاولية الخالية من اية تعقيدات حضارية (ومن ضمنها الكلمات) حدث التحول الدقيق المتمثل بالالتفاتة المنادية. واعود الى نفسي كمشاهدة: عبر هذه الالتفاتة لم يعد الرجل حقيرا وغريبا ومنفرا، انما اكتسبت ملامحه مسحة من التعبير الانساني الاليف الخالي من اية رهبة ووحشة – باختصار لقد اصبح حبيبا الى النفس كما شاءت البطلة!

يمكن طبعا التوسع في الجدال حول ثنائية الطبيعة/الحضارة لكنني سأتوقف هنا لرغبتي في مناقشة التفاتة التدجين والتي لم تخفَ عليّ كمشاهدة (بل وانتقلت الي بالعدوى) حيث لعب عاملان اساسيان دورا رئيسا في بعثها: ١) العامل الزمني. ٢) القرب الفيزيائي (وكأنهما تجسيد للمقولة الشهيرة «قرب الوساد وطول السواد»). لكنني اشدد هنا على انهما ليسا العاملين الوحيدين فهناك التوافق الروحي الذي وجد صداه حتما بعد ان اتاح له هذان العاملان فرصة الانكشاف عبر القناة الفنية – الموسيقية.

وقد اقتبست مصطلح التدجين من قصة «الامير الصغير» للفرنسي انطوان دي سانت اكزيباري والتي سأعود لها بعد التعقيب على هذا المصطلح الذي استعمله الروائي حنا مينا في قصته القصيرة «مأساة ديمتريو» (ضمن مجموعة «الابنوسة البيضاء»)، حيث اجد علاقة بين القصة والفيلم عبر الرابط الفني اضافة الى موضوع التدجين. فديمتريو عازف كمان وحيد في خريف العمر، طلب منه ان يعطي دروسا للكمان لاحد الاطفال، لكن تطورت في نفسه مشاعر مبهمة اثر تردده على بيت الطفل حيث وجد نفسه عاشقا للسيدة ام الطفل فجأة بعد ان سمعها تعزف على الكمان خلسة، وعندها تنقشع الغشاوة عن عينيه ويبصر ملامحها الجميلة ويقع تحت تأثير اضطراب لا يدري سببه «عزفها ام وجهها». وما هذا الاضطراب الا التدجين الذي رفضه طوال حياته بشراسة، وهكذا عندما يعطي درسه ويخرج نجده يعترف: «تلفتّ بعفوية الى الباب. احسست فراغا قد حدث ولهفة الى العودة تشهت، وطفت صورتها على موقد النار وقرن الأيل ولم يعد رعي الماعز في الفلاة تشردا حرا ومرجوا لجواب الافاق. لقد تدجن الحيوان البري وصار ينتظر موعد دخول المدجن بحنين لاهف».

نلاحظ ان حنا مينا لم يبن في القصة مراحل التدجين انما اورده في سياق المحصلة النهائية للضربة القاضية التي وجهتها للديمتريو ابتسامة المرأة (اثر سماع عزفها) والتي اقنعته بالتخلي عن مقولته: «انا الذي عرف الهوى حتى مله، لانه ابدا لم يروضني، لم يحتفظ بي اسيرا في قبضته». (ملاحظة صغيرة: لقد اصبح الترويض والتدجين من الكليشيهات الادبية المجوجة اما الموضة الحديثة فهي: الموت حبا، حيث يستعاض عن مقولة: «لم يروضني الهوى» بـ «لم امت حبا بعد!»). وقبل الاسترسال اود التوقف قليلا عند ميلان كونديرا في روايته «الخفة اللامطاقة للحياة» والتي عالج فيها بأسلوب فريد، حسب رأيي، فكرة التدجين المجازي تجاه امرأة واحدة دون غيرها، فبطل القصة توماش يحلل هذه الفكرة بناء على رد فعله تجاه امرأة اخرى، غير «مدجّنته» تيريزا، وجدها تستحق ان تحظى بحبه لكنه، دون وعي منه، لم يعرها اهتماما ومرت في حياته مر الكرام، اما السبب فنجده في السطور التالية:

«على ما يبدو توجد في المخ منطقة يمكن ان نسميها «ذاكرة شاعرية»، وفيها نسجل جميع الامور التي سحرتنا، اثارت مشاعرنا او اضفت رونقا على حياتنا. ومنذ ان تعرف على تيريزا لم يعد من حق اي امرأة سراها ترك اثر، مهما كان عابرا، في هذا الجانب من المخ. لقد استولت تيريزا، كحاكم جائر، على ذاكرته الشاعرية وكنست منها اثار النساء الاخريات.. هذه المرأة (الاخرى) طرقت باب ذاكرته الشاعرية، لكنه بقي موصدا في وجهها، فلا مكان لها في ذاكرته الشاعرية.. قصته مع تيريزا بدأت.. (عندما) ارتفعت حرارتها، ولم يتمكن من اعادتها الى بيتها كعادته مع باقي النساء. وعندما ركع بجانب السرير خطر في باله ان هناك من ارسلها اليه في صندوق من البردي.. لقد ذكرت قبلئذ ان المجاز خطر. الحب يبدأ مع المجاز. بمعنى اخر: الحب يبدأ في اللحظة التي تسجل فيها المرأة اولى كلماتها في ذاكرتنا الشاعرية». وهكذا فان كونديرا ينسب التدجين الى الكتابة على اوراق «الذاكرة الشاعرية» الخاصة بكل واحد منا.

واعود الى الامير الصغير والكاتب انطوان دي سانت اكزيباري الذي نجده، بعكس حنا مينة، يسهب في وصف التدجين، معناه، تقنياته واثره وذلك عبر الحوار الشيّق الذي يدور بين الامير والثعلب. فالامير يطلب من الثعلب ان يلعب معه لانه يشعر بالحزن. لكن الثعلب يعتذر فهو لم يغلق بعد «تدجينا» مناسبا يسمح له باللعب مع الطفل. وطبعا يطلب الامير من الثعلب ان يشرح له معنى التدجين فيجيب: «انت بالنسبة لي مجرد طفل صغير، كالكثير من الاطفال غيرك، ولست بحاجة لك، وانت ايضا لست بحاجة لي. فأنا بالنسبة لك مجرد ثعلب كالكثير من الثعالب غيري، لكن اذا ما دجنتني سيحتاج احدنا للاخر. عندها لن اجد لك مثيلا في العالم وانت ايضا لن تجد لي مثيلا في العالم».. ثم يواصل الثعلب كلامه: «حياتي رتيبة، انا اصطاد الدجاج، والبشر يصطادونني. الدجاج يشبه بعضه البعض، والبشر يشبهون بعضهم البعض. لذلك اشعر بالملل، لكن اذا والمت على تدجيني ستشرق شمس حياتي. وسأنصت لوقع خطوات تختلف عن سائر الخطوات، فالخطوات الاخرى ترعبني وتجعلني اندس في باطن الارض، اما خطواتك فسيخرجني وقعها من وكري كأنها معزوفة عذبة. وهناك امر اخر. انظر! هل ترى حقول القمح هناك! انا لا آكل الخبز. لست بحاجة للقمح. حقول القمح لا تذكرني بشيء، وهذا امر مؤسف، لكن خصلات شعرك ذهبية وبعد ان تدجني سيذكرني القمح الذهبي بك، وسأحب همس النسمات بين السنابل..».

بعدها يستفسر الامير عن تقنية التدجين ويشرحها له الثعلب طائعا: «يجب التجمل بالصبر. في البداية اجلس بعيدا عني قليلا، هكذا، على الاعشاب. سأرمقك بطرف عيني وانت ستلوذ بالصمت. فالكلمات لا تورث غير سوء الفهم. وربما بعد اخر يمكنك الاقتراب والجلوس اقرب فأقرب..».

وبعد ان يدجن الامير الثعلب تحين ساعة الفراق فيتأثر الثعلب ويكاد يبكي فيقول له الامير:

– انت المذنب، لم ارغب في ايذائك، انت طلبت مني ان ادجنك.
– لقد طلبت منك ذلك طبعا.
– لكنك ستبكي الان.
– سأبكي طبعا.
– اذن لم تربح شيئا!
– بالعكس.. لقد ربحت.. لون السنابل!

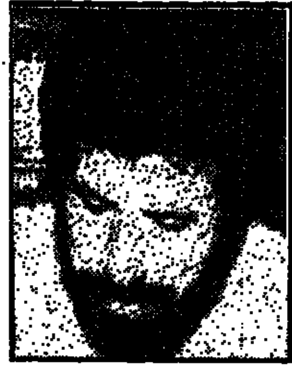
وفي النهاية وقبل ان يفترقا يفشي له الثعلب بسر هام: نحن لا نرى جيدا الا بقلوبنا، فالامور الهامة حقا بعيدة عن العين!

وهكذا نعود الى انقشاع الغشاوة الذي لا يتحقق الا بالحدس الاخرس او ربما بالانصات الى ثرثرة الفن.

* حنا مينه *

● محمود مرعي ●

بوح القلم



أبى الشعر الا ان يُفيض ويُبدِعا ... وما سُمْتُ الا ما أفاض وأبدعَا
همى بعدما أعيى فصادف مُهجةً ... تهيمُ به رُغم النّوى فتربّعَا
على شجرات الروح يعبقُ نشرُهُ ... فأورقتِ الاعطافُ والروح أينعا
بكل يتيمٍ في الجمالِ، مناله ... على غير صقر الدهر عزّ تمنّعَا
وليلٍ كأن الدهر في الطول بعضه ... به الضجر الناريّ فارَ وأزمعَا
على ان يحيل الليلُ حولي جهنّما ... تصدى له الشعر الذي... فتقطعَا
وعدتُ كمن حِيز النعيم رِضىً له ... تباكرهُ الاعوام في الشهدِ ممرعَا
رفَلتُ بأثواب الهناء تحيطني ... بُدورٌ تردّ الليلَ صُبحاً مشعشِعَا
تفجّرُ اوهام الهموم بحلها ... فتمتنعُ اللذاتُ ان تتبرْقعَا
وينكشف المستورُ منها وقد حلا ... أقبِّلها شوقاً وندخلُ مخدَعَا
واسبَح في بحر النعيم تُقلني ... زوارقُ ليست كالزّوارقِ مطلعَا
وأرسو على برّ الامان وقد علا ... على الكونِ وجه الفجرِ تاجاً مُرصّعَا
افارقها والنفس تجهشُ بالبكا ... خشيتُ مِن الإجهاشِ ان تتمزّعَا
صبرتُ عليها ضحوةَ اليوم صادياً ... ولا ماء عند الماءِ يُسعِفُ مُوجَعَا
وسِرتُ بها حتى وقفت على شفىً ... بدا قَعرهُ كالنجم بُعداً ومَوقعَا
هناك تهادى الصوت أبشِر بشربةٍ ... تُعيد لكَ العلياءَ حِصناً ممَنّعَا
فقلتُ جزاكَ الله خير جزائهِ ... ومِلتُ على ماء الخلود فأنقعَا
وسِرنا سويا والمسيرُ يسُرّنا ... نسدّد سهم السعدِ يسردُ موسِعَا
جنَينا جنىً للضاد من عهد جُرْهُمٍ ... الى الملكِ الضليل، في رأيه لعَا
الى الاعصُرِ الزهراءِ درّة مجدِنا ... الى الانحطاط المرّ او كيف صدّعَا
دعائم بيتٍ في الذّرى قام سقفهُ ... فخرّ على العُمّار شِيباً ورُضّعَا
نحاور صحف الدهرِ والدهرُ مُدبرٌ ... ونسبرُ اغوار العصور لنجمعَا
كنوزا تضاهي ما بخزنةِ قيصرٍ ... وكِسرى وامريكا وسوفييتَ اجمعَا
وقفنا على «البارود» ربّ كليهما ... يراعٍ وسيفٍ فاستهلّ ورجّعَا
وجئنا «امير الشعر» فرد زمانه ... فقام كما نرجو اميراً، ومِصْقعَا
الى «شاعر النيل» العزيز مكانةً ... الى «شاعر القُطرينِ» نداً تضوّعَا
الى مجمَعٍ ضم الفحول جميعهم ... «كطه» و «عبّاسٍ» ومَن قد تشيّعَا
قصدنا عراق الخير نملأ غربَنا ... فجادَ «الرّصافي» ما كفانا وأقنعَا
نزلنا الى ارض الشآم وجِلّقٍ ... نسامر مَن فيها فرامَت تقنُّعَا
أخجلى من الابناء جِلّقُ أفصِحي ... فجاءتْ «بمَهدي» عارياً متضرّعَا
رثينا له والليل أسبلَ جفنَه ... وفزّتْ بلبنان القذائف شُرّعَا
تحطم ابداعَ الحضارة أينما ... تُساقِطها الغِربان قَفراً ومنجَعَا
وتنعَبُ فوق الرّدمِ تلقط امّة ... وتُطعِمها للموتِ كمّاً ليشبَعَا
اردنا سؤال الحيّ عن حالِ حيّه ... اما زال ألحان المحبة مبدِعَا
وقفنا طويلا علّ ينطِقُ بالذي ... نودّ، فضجّ الصمتُ يصرخُ أن دعَا
أفاقتْ سَوافي الموت أيقظها الردى ... وفاضتْ عواءً في المسارِب مُفزِعَا
وجاسَتْ خلال الارض تطلب قوتها ... وتخمِشُ أعلاها بخرّ تصدّعَا
طغى الموتُ فوق الموت من فوق ميّتٍ ... تجرّع كأس الموتِ فارتدّ بَلقعَا
ألا يا وحوشَ البُهمِ أينكِ أقبِلي ... فانكِ أولى ان تقولي فنسمعَا
ويا صاحبي، البيتُ يأكل سقفه ... فقُم يا صديقي فالتلاشي تطلّعَا
يعاين أنفاس الحياة لنفيها ... وعما قريبٍ لن نكون هنا معَا
فقُم قبلما عين الفناء تحسّنا ... الى الرّحبِ مِن ارض الخصوبةِ مَربعَا
ففيها أمانٌ لا مخافة بعدهُ ... وفيها نَشيرُ النورِ للروحِ شُرّعا

(المشهد)

قصتان

(تتمة من ص. ٢)

توقف قليلا، القى نظرة عابرة، ثم اكمل طريقه. لجوى فقط عبرت عن حزنها وعجزها في منع الجريمة. سحت من عينها دمعة ساخنة على المرأة العجوز التي كانت قبل سنة فقط تجلس على كرسي القش في ساعات المساء تنتظر عودة الغائبين، وسامح شعر بالاسف على الارواح التي زهقت، وعلى البيت الذي كان يود تحويله الى متحف شعبي ومقر للشعراء والادباء. اما وديع فشعر بالندم على شجرة القراصيا الوحيدة من نوعها التي بقيت في المدينة والمنطقة كلها. «كيف لم ينجح بنقل شتلة من اشتالها الى ارضه»؟ كان قبل وقوع الجريمة قد حاول المحافظة على هذا النوع الفريد عدة مرات، لكنه فشل، كأنه كتب لهذه الذرية ان تنقطع. ولم يجدها نفعا تشبثها بالحياة بكل قوة. فقد كانت فسائل الشجرة قد تكاثرت حتى ملأت قطعة الارض الصغيرة امام البيت، وكونت سياجا يصعب المرور منه.

بعض الصحون والمناشف والادوات المنزلية الاخرى كانت ملقاة هنا وهناك تنتظر اصحابها، النافذة الغربية مفتوحة ربع فتحة تستقبل شمس الاصيل فتدب في البيت الحياة وهو ينتظر عودة الغائبين المهاجرين.

كم هم الذين سكنوا هذا البيت وعاشوا فيه؟!

اجيال على اجيال مرت، تغيرت احوال وتبدلت احوال ودالت دول، وهو باق على حاله لا يحول ولا يزول.. بحيطانه السميكة، ونوافذه الخشبية القديمة، وسقفه القرميدي القرمزي اللون. الاتراك والانجليز والروس مروا او سكنوا فيه، ثم رحلوا وهجروه ومن بعدهم اصحابه، وبقي الى ان وقعت الجريمة. نفذها صبي مجنون يقول: ان القيم والاخلاق وهم من اختراع الضعفاء، وهو لا يحسب حسابا لقانون او عرف، فكان تحول الى صنم ترمى في جوفه الصدقات، ولما ضاق المكان ولم يعد يتسع لسيارات الزوار احضر الصبي وحشا على شكل آلة صماء عملاقة، فهدم البيت على ارواح اصحابه ورؤوسهم، وسحق بجنازيره شجيرات القراصيا وفسائل التين والرمان، وحول قطعة الارض الحية الى ساحة من الاسفلت الميت.

(الناصرة)

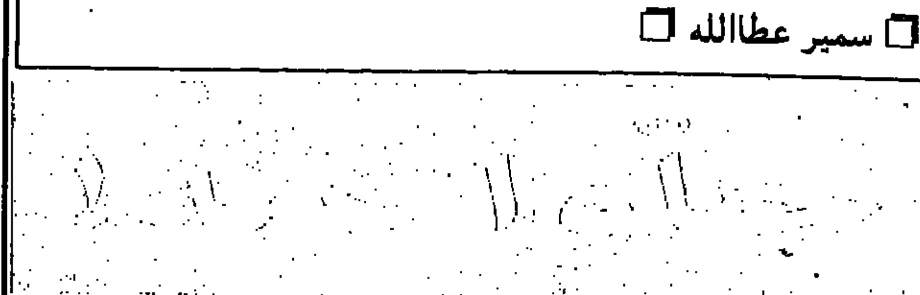
● كاظم ابراهيم ●

حماسة



ماذا اقول وقد حفظت مقاليا ... فالصمت اصدقُ لو عرفتِ مراديا
اني وفيّ والسموألُ مثليا ... اني طموح والعدالة دينيا
لا ترجميني في الظنون فانني ... للصدق والاخلاص افدي عمريا
اني وفيتُ وفي وفائي قصةٌ ... للسالفين وللذين ورائيا
ما كنتُ اقبل ان تهان كرامتي ... حتى ولو كان النبيّ مُهينيا
اني كريمٌ والكرامة رايتي ... احيا بها في العمر احسد حاليا
لا احسد البشر الذين اراهمُ ... مهما تلألأ نجمهُم بسمائيا
ان شئتِ شيئا فالقصيدة حجّتي ... قولي اذا صدقت حذام مقاليا

(باقة الغربية)



سمير عطاالله

☐ انا مع بيل كلينتون.

انا مع كل رئيس امريكي في آخر ولايته الاولى، لانه يصبح اضعف مخلوق على الارض. ومعه الان ثمة آلة طابعة تبرز فجأة من تحت الارض وتبدأ في توزيع المناشير الجادة الموثقة، دائما الموثقة، حول هفوات الرئيس وسيرة جدته، واخلاق ابنة عم عمته، وكيف انه يجب ان يسقط لانه يفضل حليب الصويا على الحليب البقري. فالاول صنع اليابان والثاني زراعة وطنية. ومن شأن هذا التفضيل ان يغلق المصانع. واغلاق المصانع يؤدي الى الركود. والركود يؤدي الى الحرب. والحرب تؤدي الى دمار العالم. ويجب اسقاط الرئيس قبل ان يحدث ذلك.

يجب. يجب.

جنون «اخلاقي» يهب فجأة على امريكا. امريكا التي تنتخب قبل اربع سنوات، تغلغل الرجل نفسه بعد اربع سنوات.

امريكا التي تعطي ٢٠٪ من الاصوات لرجل يدعى روس بيرو من اجل اسقاط رجل يدعى جورج بوش، تنقض فجأة على رجل يدعى بيل كلينتون.

امريكا التي كانت تقول ان هيلاري كلينتون محامية اكثر اهمية بكثير من حاكم اركنساو السابق وحاكم امريكا الحالي، تقول الان ان هيلاري كلينتون كذبت وشاركت في التزوير يوم كانت مجرد زوجة لمجرد حاكم شاب في اركنساو.

امريكا التي تقول ان المرأة مخلوق مستقل الاستقلال التام في كل شيء، تريد الان ان تسقط بيل كلينتون بسبب اخطاء ارتكبتها هيلاري رودام كلينتون.

مسكين الرئيس الامريكي امام هذا الحشد الهائل من حماة الاخلاق.

مسكين امام عملية الرجم التي تخطر فجأة للغيارى من اصدقائه ومؤيديه والذين عملوا على وصوله.

مسكين القضاء والقانون والنزاهة والتجرد الذي (نكاية بجمع المؤنث) يدين هيلاري كلينتون باسم «القيم» الامريكية ويبرئ او. جي. سمبسون باسم القيم نفسها.

مسكينة شعوب العالم التي يخيل لها ان لا هم للرئيس الامريكي سوى سلامة العالم وسلام الشعوب، واذا بها تكتشف ان همه الاول ان يدافع عن نفسه في قضية تعيين موظفي مكتب السفر في البيت الابيض.

غريبة الفورات الخلقية التي لا تظهر الا كل اربع سنوات.

غريب ان تعبأ امريكا السياسية كلها حول سلوك كلينتون غير الزوجي ايام كان حاكما في اركنساو وحول تصرف زوجته غير القانوني يوم كانت مجرد زوجة في اركنساو.

غريب ان هذه الجمعية الاخلاقية نفسها لا تقول كلمة واحدة في حضارة العنف التي نشرتها هوليود او في حضارة الاغلال التي نشرت نفسها في دولة يقوم دستورها على القيم الاجتماعية او في حضارة الاباحة التي رهنت اكبر دول العالم لتفسخ اجتماعي يعصف بها من الداخل.

مسكين كل رئيس امريكي في نهايات الولاية الاولى.

مسكين بيل كلينتون الذي ينتخب من اجل ان يخيف العالم ثم يهدد بالاقالة المبكرة لان زوجته شاركت مقاولا محتالا في مشروع بناء!

* بيل كلينتون *

مسكين الرئيس الامريكي الذي يرغم على «المثول» امام مجموعة من المحلفين العاديين ثم يخرج من الجلسة ليعود الى.. صناعة سلام العالم في الشرق الاوسط، في البوسنة وفي ايرلندا وفي كل مكان.

ومسكين الرجل الذي يريد اعادة شمعون بيرس وبوريس يلتسين وهو لا يعرف ان كانت قضية مكتب السفريات سوف تسمح له بالعودة ام لا.

ومسكينة امريكا كل اربع سنوات حين يرغم رئيسها على الاستقالة مثل نيكسون او على التقاعد مثل بوش او على ان يبدو مجرد رجل خارج من شقة خاصة وداخل في مشروع للشقق السكنية!

وكل ذلك بحجة حماية الاخلاق.

وكل ذلك من اجل صيانة امريكا.

وامريكا بحاجة الى من يصونها من نفسها. اذ حتى الصدق يبدو كذبا في هذا المهرجان المزيف. وحتى النزاهة تبدو مشوهة بين كل هؤلاء المدافعين.

وامريكا، مسكينة امريكا، مثلها مثل رئيسها كل اربع سنوات. مثلها مثل رئيسها.

ومسكين رئيسها.

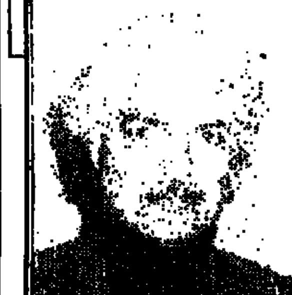
وانا ضد بيل كلينتون في ابعاد بطرس غالي.

وضده في ضعفه الدولي.

ومعه في ضعفه المحلي، الكاسر.

(«الشرق الاوسط» - لندن)

☐ حجر في الهواء



أحمد دحبور

● «الأخ الشاعر أحمد دحبور، ذكرى لقاء غير متوقع، وأملاً بلقاء متوقع - القاهرة ١١/ ١/ ١٩٩٠. توفيق زياد».

سأحمل هذه الكلمات المرسلة على الصفحة الأولى من كتابه، كالتميمة، ولن اعود اليها بين حين وحين، لأن كتابه لا يفارقني أصلا، ولكنني في هذا اليوم تحديداً، في ذكراه الثانية، اتأمل هذه الكلمات، أستبطنها، وأفكر في الحدس الشعري - التاريخي الذي كان يتميز به أبو الأمين، وهو حدس لا ينتمي الى ما لقنتنا اياه دروس الانشاء عن التفاؤل والتشاؤم، بل قراءة عنيدة لواقع عنيد، واذا كانت الظروف الموضوعية تتحكم وتحكم، فلماذا لا نكون جزءاً من هذه الظروف الموضوعية؟ ويقيناً ستلتقي «لأن مشيئة التاريخ ان يمشي كما نملي».

ترى، هل نملك في ذكراه الا ان نسمعه كما لو كان بيننا؟ وهل نملك، في حضرة الشعر، الا ان نمتثل لهذا الصوت العابر للزمن، فاذا بصاحبه حي بيننا، يقودنا، يثير حميتنا، ويترك ما ينفع الناس ليمكث في الأرض؟..

حين وصلتنا أصواتهم في منتصف الستينات، كقنبلة من الورد، أتت في زفة جمالية على هودج من كلام الروح، وكان للهودج اسم سيلازمه حتى يوم الناس هذا: شعر المقاومة، واذا كانت الأمور تختلط علينا، في البدايات، بحيث ننسب قصيدة هذا الى ذاك، أو نجد مقطعا من تلك القصيدة مستريحا في مثل هذه القصيدة، فقد كان القارئ المتابع قادراً على استجلاء الأصوات الخاصة، وكنا مع صوت توفيق زياد الخاص، على موعد.

منذ البداية المبكرة، انفتحت قصيدة توفيق زياد على مستويين من الرؤيا: الفناء في الجماهير من خلال الالتزام الحزبي، واستقصاء خلاصات اللحظة اليومية التي تشكل بتراكمها زمن الصمود والمقاومة:

كأنني ولدت من جديد
كل الشموس في يدي، وأجمل الورود

هكذا يحقق الشاعر الحزبي ولادته الثانية، ممتلئا بالشمس والورد، بنبرة احتفالية رافقت ما سمته الواقعية الاشتراكية بالشعر الملتزم، وهي تسمية لا تجد من يزكيها في جمهورية الابداع، الا الموهبة الجارحة والصوت الشخصي الذي لا يضيع ولا يندغم في أصوات الآخرين، وبما ان القضية المركزية واحدة، والاسئلة متشابهة، والجمهور المتلقي واحد، فان مهمة هذا الشاعر «الملتزم» ستكون صعبة للغاية، ولكن من قال ان طريق الشعر سهلة؟ ولماذا لا نعيد قراءة توفيق زياد بعيون مثقفي التسعينات، لنقع على تلك المادة الغامضة، العصية على البلى، بحيث أبقت لنا من الشعر ما هو مشحون بالرؤيا الانسانية الفردية، ولكنه يلفمنا بالفرح الفني، ويترك لنا ما نحفظه برعشة القلب ورمش العين؟

لقد انتبه توفيق زياد مبكرا، الى الحياة الشعبية فأتى الفولكلور الذي عطر عالمه الجمالي، جزءاً من تلك الحياة، وليس مادة تزيينية، او استجابة لمتطلبات تقليدية في جهاز العروس التي هي القصيدة، ان من يقرأ قصيدة «رمضان كريم» التي كتبها في أواخر الخمسينات - وانا اختارها الآن عشوائيا - ستدهشه تلك الجسارة الفنية والتجرؤ على وقار الخطاب التقليدي، لقد نادى المنادون الواقعيون الاشتراكيون بالالتحام بالشعب، ولكن من جاء في «رمضان كريم» هو الشعب نفسه، واذا كان لا مناص لي من استخدام مصطلح غرامشي الخاص بالمثقف العضوي، فان الشاعر، في هذه القصيدة واخواتها، يحرز قدرا من العضوية في الجسم العام، حتى ليستطابق الذاتي مع الموضوعي، بحيث يصعب ان تنقب عن صوت الشاعر، ولكن - من جهة ثانية - يمكنك ان تستقبل شخصيات القصيدة بوصفها ناطقا انسانيا باسم الشاعر. هكذا تجتمع الحارة عند أبي عبد الرحمن، وتفوح رائحة الكعك وأخبار العالم، ممتزجة بصوت المقرئ الشيخ عبد الباسط، وتدور القهوة السادة فيما يغازل الفتى فتاته في احدى الزوايا، ويغار فتى آخر، ويحلم محروم بخاتم شبيك لبيك، فيأتيه صوت الحكمة لا مفتعلا ولا صارخا، بل انه من صميم اللحظة الرمضانية الجليلية:

تكفي أحلام
هذا الشعب الزاحف بالأعلام
هو خاتم شبيك لبيك
هو مصباح علاء الدين

وسيبلغ هيام توفيق زياد بـ «صوت الشعب»، حد التقاط الأغاني الجليلية المتوارثة، وصهرها في صياغة شعرية، فاذا بالنصراويات الغاديات الى مرج ابن عامر، يعذبن العاشق المنتظر الذي طرف الهوى عينه، وأما عينه الأخرى فاستدها اهل الربا والدين. ان مجازفة توفيق زياد بضبط العادي والبسيط واعادة انتاجه في حديقة الشعر، بين عناصر غنية ميزت مشروعه الجمالي، هي التي أمدت، لا الشعر الفلسطيني بل الغربي بتلك النكهة الخاصة، وبالمفتاح الذي ولج الباب الشعبي دون أن يقدم تنازلا فنيا، فهكذا كسب تراثنا الشعري مطولات نوعية مثل «سرحان والماسورة» و«عواد الأمارة» و«عمان في ايلول».

صحيح ان كثيرين، قبل توفيق زياد، كتبوا القصيدة - القصة، ولكن تلقائية الاداء عند أبي الأمين جعلت من القصيدة قصة، ومن القصة قصيدة، حتى ان الصورة الشعرية ما عادت تحت رحمة المناظرة التقليدية القائمة على المجاز والتشبيه والمقاربة، بل هي حركة ديناميية منبثقة من روح العمل: (لأني لست كالكبريت، اضيء لمرة وأموت)، فهو هنا لا يشبه الانسان بالكبريت، ولكنه ينشئ معادلة يكون الكبريت فيها بحركته الخاطفة: الاضاءة والموت، جزءا مكونا فاعلا..

لقد كان ابو الأمين زعيما شعبيا، وهذا ما فرض على كثير من الجمهور التعامل مع شعره بوصفه بلاغا للناس.. وانه لكذلك، لكن فيه ما هو خير وأبقى، فيه كهرباء الفن، و«الجوهر الفرد» الذي يصمد للزمن، فقصيدته، مثله تماما، لم تكن يوما وليدة مناسبة عابرة، بل هي، مثله تماما، بنت الحياة المحروسة برمش العين ووفاء التاريخ.